

العنوان: المناهج الدراسية، علم الحديث، المستوى (الثاني).

نُبذة مختصرة: تُعتبر هذه المادة العلمية تَهْدِيًا واختصاراً للمناهج الدراسية في المملكة العربية السعودية

الموجهة للطلاب، وهي مُقسّمة على عدّة مستويات، ومن ضمن هذه المادة ما يختص بدراسة علم الفقه، وهي مُقسّمة إلى ثماني (8) مستويات، وإنّ من أهم ما اشتمل عليه المستوى الثاني من الموضوعات والمسائل ما يلي:

1- شرح مجموعة من النصوص النبوية التي تُعدّ من أهم الأحاديث التي اشتملت على الكثير من

الأحكام الشرعية والفوائد العلمية وفق أسلوبٍ امتاز بالسهولة ووضوح العبارة، بدءاً بالتعريف

بالصحابي راوي الحديث، ثم شرح العَرَبِ، إلى بيان أهم الأحكام والتوجيهات التي اشتمل عليها

الحديث، وانتهاءً بطرح بعض الأسئلة التي تُعين على استيعاب الدرس ومعرفة مدى فهمه.

2- بيان بعض الصور من حرص النبي صلى الله عليه وسلم على الدعوة إلى الله تعالى، وتنوع أساليبه

في ذلك من خلال الدعوة في المواسم والمراسلات ونحو ذلك.

3- توضيح حقوق الله تعالى التي أوجبها على عباده من تعظيمه وإجلاله، وتوحيده وإفراده، وخوفه

ورجائه، وشكره على نعمائه، ونحو ذلك من أنواع العبادات.

4- بيان حقوق الرسول ﷺ على أمته من توقيره واحترامه، وأتباعه والسير على سنته وهديه، ومحبته

ونشر سنته وآثاره، وغير ذلك.

5- ذكر نماذج وصور من حياة الصحابة الكرام، والكلام على بعض محاسن الإسلام العظيم، وما دعا

إليه من مكارم الأخلاق، كالصدق، والجود والإيثار، والذكر والدعاء، ونحو ذلك.

الحديث والثقافة الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقدِّمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ
فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
ﷺ، أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذَا مُقَرَّرٌ مَادَّةَ الْحَدِيثِ وَالثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَقَدْ رُوِيَ فِيهِ حُسْنُ الْعَرْضِ وَالتَّرْتِيبِ، وَسُهولةِ الْعِبَارَةِ،
وَالاعْتِمَادِ عَلَى الْمَصَادِرِ الْأَصْلِيَّةِ مَا اسْتَطَعْنَا، مَعَ الْاهْتِمَامِ بِتَخْرِيجِ النُّصُوصِ وَالْعَزْوِ لِلْمَرَاجِعِ الْعِلْمِيَّةِ، لِيَتَزَوَّدَ مِنْهَا
كُلُّ مَنْ الْمَعْلَمِ وَالطَّالِبِ، فَمَا أَصَبْنَا فِيهِ فَمِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَبِتَوْفِيقِهِ مِنْهُ، وَمَا أَخْطَأْنَا فَنَسْأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالصَّفْحَ
عِنْدَهُ.

وَخِتَامًا نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَنَا بِهِ وَيَكْتُبَ لَهُ الْقَبُولَ، كَمَا نَرْجُو مِنَ الْمَعْلَمِينَ وَالْمُرَبِّينَ إِلَّا يَبْخَلُوا بِمَا
عِنْدَهُمْ مِنْ آرَاءٍ وَمُلْحُوظَاتٍ عِلْمِيَّةٍ وَتَرْبُويَّةٍ تَسِيرُ بِالْمُقَرَّرِ قُدْمًا نَحْوَ الْأَفْضَلِ.
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أولاً: الحديث الشريف

الحديث الأول

عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه - حين بعثه إلى اليمن: ((إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأيتك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حاجب)) متفق عليه (1).

التعريف بالراوي:

هو الصحابي الجليل، حبر الأمة وإمام التفسير، أبو العباس، عبد الله ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب، القرشي الهاشمي رضي الله عنهما، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، انتقل مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح، دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بسعة العلم والفقه في الدين، روى البخاري عنه - رضي الله عنه - قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلاء فوضعت له وضوءاً قال: ((من وضع هذا؟)) فأخبر، قال: ((اللهم فقه في الدين)) (2) وفي رواية: ((اللهم علمه الكتاب)) (3)، وفي رواية: ((اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل)) (4).

قال مسروق: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجمل الناس، فإذا نطق قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث قلت: أعلم الناس.

من أكثر الصحابة رواية للحديث، وأعلمهم بالتفسير، وأقدرهم على الاستنباط. توفي - رضي الله عنه - سنة ثمان وستين للهجرة النبوية، وعاش إحدى وسبعين سنة (5).

(1) أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع عدة، منها: كتاب المغازي، باب: بعثت أبي موسى ومعاذ إلى اليمن (64/8) برقم (4347)، وفي كتاب الزكاة، باب: وجوب الزكاة، في (261/3)، برقم (1395)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين (50/1-51)، برقم (19).

(2) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب: وضع الماء عند الخلاء، برقم (1413)، ومسلم (1927/4)، برقم (2477).

(3) البخاري رقم (75).

(4) ينظر: مسند الإمام أحمد (266/1)، و(314).

(5) ينظر: سير أعلام النبلاء (331/3)، وتهذيب التهذيب (276/5).

المباحث اللغوية:

معناها	الكلمة
أرسله وكان ذلك سنة عشر للهجرة.	حين بعثه إلى اليمن: بعثه:
والمراد بهم هنا: اليهود والنصارى، حيث أنزل على موسى عليه السلام التوراة، وأنزل على عيسى عليه السلام الإنجيل.	أهل الكتاب:
أي: ادعهم إلى أن يقرؤا بالشهادتين ويدخلوا في دين الله تعالى وتوحيده وعبادته. وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يبدأ بالشهادتين؛ لأنهما أصل الدين وأساسه، فلا يصح شيء من فروعها إلا بهما.	فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله:
أي: شهدوا وانقادوا واستجابوا، بأن شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فرض بمعنى: ألزم وأوجب، والفرض في الاصطلاح هو الواجب، وهو ما يُتاب فاعله امتثالاً ويُعاقب تاركه.	فإن هم أطاعوا لك بذلك: فرض:
الصدقة هنا: هي الزكاة المفروضة، ولا فرق في الاصطلاح الشرعي بين لفظ الزكاة والصدقة، فكلاهما بمعنى واحد، إلا أنه غلب عرفاً استعمال الزكاة للزكاة المفروضة، واستعمال الصدقة على ما هو أعم.	فرض عليهم صدقة:
الغني من يملك نصاباً من الأموال التي تجب فيها الزكاة، والضميم يعود إلى الذين أسلموا من أهل اليمن.	تؤخذ من أغنيائهم:
الفقير هو من لا يملك شيئاً من المال، أو يملك أقل من نصف كفايته، وأعلى منه المسكين، وهو من يملك شيئاً من المال لكن لا يكفي حاجته من مطعم وملبس ومركب ونحوها. والضميم في: ((فقراهم)) يعود إلى المسلمين من أهل البلد نفسه.	فترد على فقراهم:
منصوب بفعل مضمر، تقديره: احذر، والكرائم: جمع كريمة، أي: نفيسة، والمراد: خيار المال.	فإياك وكرائم:
أي: تجنب الظلم؛ لئلا يدعوك المظلوم.	واتق دعوة المظلوم:

<p>والسَّبب في ذِكْر هذه الجملة بعد قوله: ((فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ)) هو الإِشْعَارُ بِأَنَّ أَخْذَ خِيَارِ الْمَالِ دُونَ رِضَى صَاحِبِهِ ظُلْمٌ، فَيَجِبُ أَنْ يَتَحَبَّبَهُ، وَلِأَنَّ مَعَاذَ فِي مَكَانِ وِلَايَةِ وَسُلْطَةِ.</p>	
<p>أي : ليس لها صَارِفٌ يَصْرِفُهَا وَلَا مَانِعٌ يَمْنَعُهَا مِنَ الْقَبُولِ، حَتَّىٰ وَلَوْ كَانَ الْمَظْلُومُ فَاسِقًا أَوْ عَاصِيًا، فَفَسَقُهُ وَعِصْيَانُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ؛ لَمَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ مَرْفُوعًا: ((دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ))⁽⁶⁾.</p>	<p>فإنَّه ليس بينها وبين الله حِجَابٌ:</p>

الأحكام والتوجيهات:

- 1- أهميَّة الشَّهَادَتَيْنِ وَعِظَمُ شَأْنِهِمَا وَأَهْمَا أَصْلُ الدِّينِ الَّذِي لَا يَصِحُّ شَيْءٌ مِنَ الْعِبَادَةِ إِلَّا بِهِمَا، وَهُمَا مِفْتَاحُ الْإِسْلَامِ، فَلَا يَلِجُ الْبَابَ مَنْ لَيْسَ مَعَهُ مِفْتَاحٌ، وَلَا يَكُونُ الْكَافِرُ مُسْلِمًا إِلَّا بَعْدَ التَّلَقُّظِ بِهِمَا وَمَعْرِفَةِ مَعْنَاهُمَا، وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهُمَا.
- 2- الصَّلَاةُ أَهَمُّ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، فَهِيَ عَمُودُ الدِّينِ، وَلَا يَقُومُ الْبُنْيَانُ بِدُونِ عَمُودٍ، وَلِعِظَمُ شَأْنِهَا، وَعُلُوُّ مَنْزِلَتِهَا، حَذَّرَ الْإِسْلَامُ مِنْ تَرْكِهَا أَوْ التَّهَاؤُنِ بِهَا.
- 3- الْفَرَضُ الْوَاجِبُ عَلَى الْمَكْلُوفِينَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَلَيْسَ بِوَاجِبٍ، مِثْلَ السُّنَنِ الرَّوَاتِبِ، وَصَلَاةِ الْوُتْرِ، وَصَلَاةِ الضُّحَى، وَقِيَامِ اللَّيْلِ، وَغَيْرِهَا، فَهِيَ سُنُّ مُؤَكَّدَةٌ لَا يَلِيقُ بِالْمُسْلِمِ أَنْ يَتْرَكَهَا، ففِيهَا أَجْرٌ عَظِيمٌ، وَثَوَابٌ جَزِيلٌ.
- 4- لِأَهْمِيَّةِ تَرَابُطِ الْمُسْلِمِينَ وَتَكَاتُفِهِمْ، وَكَوْنِهِمْ إِخْوَةً كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحَمَى وَالسَّهْرِ، جَعَلَ الْإِسْلَامُ الزَّكَاةَ حَقًّا لِلْفَقِيرِ وَالْمَسْكِينِ مِنْ مَالِ الْعَنِيِّ، فَرَضَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَجَعَلَهَا ثَالِثَ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَمَبَانِيهِ الْعَظِيمَةِ.
- 5- فِي مَشْرُوعِيَّةِ الزَّكَاةِ حِكْمٌ مِنْهَا: -
 (أ) طُهْرَةٌ لِلْمُزَكِّيِّ مِنْ دَنَسِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِيِ.
 (ب) إِشْعَارٌ لَهُ بِأَنَّ الْمَالَ مَالُ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا يَنْخَلُ بِهِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ.
 (ج) شُكْرٌ لِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.
 (د) طُهْرَةٌ لِلْمَالِ مِمَّا قَدْ شَابَهُ مِنَ الشَّوَابِ.

(6) أخرجه أحمد في المسند (367/2)، وقال ابن حجر - رحمه الله - في فتح الباري (360/3): "إسناده حسن".

(ذ) مُوَسَاةٌ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ، وَسَدُّ لِحَاجَتِهِمْ.

6- الذين يَسْتَحِقُّونَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ حَدَّدَهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَامِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ﴾ [التوبة: 60]، ولم يذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِلَّا صِنْفًا وَاحِدًا تَنْبِيهًا لِبَقِيَّةِ الْأَصْنَافِ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ صَرْفُهَا لِصِنْفٍ وَاحِدٍ مِنْهَا. وَعَلَيْهِ فَالزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ يَجِبُ أَلَّا تُعْطَى مِنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا، أَمَّا الصَّدَقَاتُ الْمَسْتَحَبَّةُ فَوَجُوهُ صَرْفُهَا غَيْرَ مَحْصُورَةٌ.

7- دِينَ الْإِسْلَامِ وَسَطٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ وَسَطٌ بَيْنَ الْأَدْيَانِ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَسَطٌ بَيْنَ الْفِرَقِ فِي الْإِعْتِقَادِ، وَالْعَمَلِ وَالسُّلُوكِ، وَالتَّعَامُلِ، فَفَرَضُ الْإِسْلَامِ مَالًا فِي حَقِّ الْعَيْنِ لَا يَعْني الْإِضْرَارَ بِهِ فَيُؤْخَذُ أَنْفُسُ مَا لَدَيْهِ بَدُونِ رِضَاهُنَّ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ مُؤَدِّيًّا أَيْضًا إِلَى الْإِحْحَافِ بِحَقِّ الْفَقِيرِ فَيُعْطَى أَرْذَلُ الْمَالِ وَأَرْذَلُهُ؛ بَلْ يُعْطَى الْفَقِيرُ مِنْ أَوْسَطِ الْمَالِ.

8- الْأَصْلُ فِي الزَّكَاةِ أَنْ تُصْرَفَ فِي بَلَدِ الْمَالِ نَفْسِهِ، فَإِذَا دَعَتْ حَاجَةٌ لِإِحْرَاجِهَا إِلَى بَلَدٍ آخَرَ أَشَدَّ فَقْرًا - مَثَلًا - فَيَجُوزُ نَقْلُهَا إِلَيْهِ.

9- عَاقِبَةُ الظُّلْمِ وَخِيَمَةٌ، وَنَتَائِجُهُ خَطِيرَةٌ، تَظْهَرُ آثَارُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ [إبراهيم: 42].

وروى البخاري عن أبي موسى - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنْ اللَّهُ لِيُجْلِلَ لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ))، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: 102] (7).

وَيَكْفِي أَنْ دُعَاءَ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابٌ، أَيْ: كَانَتْ حَالُهُ، كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ.

10- دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ بَعْثِ مَنْ يَجْلِبُ الزَّكَاةَ مِنْ نَوَاحِي الْبِلَادِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَمِنْ ثَمَّ يَتَوَلَّى الْإِمَامُ أَوْ مَنْ يُنْيِيهِ تَوَازِيْعُهَا وَتَصْرِيْفُهَا.

11- الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الْمُقَرَّبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَرْكَاهَا وَأَجَلَّهَا، فَهِيَ وَظِيْفَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَهِيَ مَا وَرَثَهُ مَنْ بَعْدَهُمْ، رَتَّبَ عَلَيْهَا الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا الْأَجْرَ الْعَظِيمَ وَالثَّوَابَ الْجَزِيلَ، يَقُولُ

(7) والحديث أخرجه في صحيحه (354/8)، كتاب التفسير، باب: (وكذلك أخذ ربك ...).

سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصّلت: 33].

وقال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ - رضي الله عنه - فيما رواه البخاري وغيره: ((فوالله لأن يَهْدِي اللهُ بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النَّعَم)) (8).

12- من عَوَامِلِ نَجَاحِ الدَّعْوَةِ أَنْ تَكُونَ بِحِكْمَةٍ، وَمِنْ الْحِكْمَةِ أَنْ يَبْدَأَ الدَّاعِي بِالْأَهَمِّ فَالْمُهَمِّ، أَلَا تَرَى أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَى مُعَاذاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِأَنْ يَتَدَرَّجَ مَعَ أَهْلِ الْيَمَنِ بَادِئاً بِالْأَهَمِّ وَهُوَ الشَّهَادَتَانِ، ثُمَّ الصَّلَاةُ، ثُمَّ الزَّكَاةُ.

13- اسْتِعْمَالُ الْأَسَالِبِ الْمُنَاسِبَةِ فِي الدَّعْوَةِ مِنَ الْقَوْلِ الْحَسَنِ، وَالتَّعَامُلِ الْكَرِيمِ، وَالخُلُقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَحُسْنِ الْعَرَضِ، وَلِيْنِ الْجَانِبِ، وَعَدَمِ الْغِلْظَةِ وَالْجَفَاءِ، كُلُّ ذَلِكَ عَلَامَةٌ الدَّاعِيَةِ النَّاجِحِ فِي دَعْوَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوكَ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: 159].

الأسئلة:

- س1 : لِمَ بَعَثَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذاً إِلَى الْيَمَنِ ؟
- س2 : التَّوْحِيدُ أَهَمُّ الضَّرُورِيَّاتِ، تَحَدَّثْ عَنِ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ دِرَاسَتِكَ لِلْحَدِيثِ ؟
- س3 : الزَّكَاةُ أَمْرٌ عَظِيمٌ فِي دِينِ اللهِ. اذْكُرْ ثَلَاثَةً مِنْ أَحْكَامِهَا تَسْتَنْبِطُهَا مِنَ الْحَدِيثِ ؟
- س4 : اللَّيْنُ وَالرَّفْقُ مِنْ عَوَامِلِ نَجَاحِ الدَّاعِيِ، وَضَحِّ وَجْهِ الدَّلَالَةِ مِنَ الْحَدِيثِ ؟
- س5 : مَا مَرَجِعُ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ: (فُقَرَائِهِمْ) ؟
- س6 : اذْكُرْ شَيْئاً مِنْ حِكْمِ الزَّكَاةِ.
- س7 : وَضَحِّ عَاقِبَةِ الظُّلْمِ مِنْ خِلَالِ الْحَدِيثِ.
- س8 : مَاذَا تَعْرِفُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ؟

(8) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: غزوة خيبر (476/7). والجهاد، باب: دُعَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي

فضائل الصحابة، باب: فضائل علي رضي الله عنه رقم (2406).

الحديث الثاني

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((بدأ الإسلام غريباً، وسيُعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء)) . رواه مُسلم (9).

التعريف بالراوي:

هو الصحابي الجليل، سيّد الحفاظ الأثبات، أبو هريرة - رضي الله عنه - اختُلف في اسمه واسم أبيه على أقوالٍ كثيرة، أرححها أنه : عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أسلم عام خيبر، أول سنة سبَع للهجرة. قال الذهبي: حملَ عن النبي صلى الله عليه وسلم علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه، لم يُلحق في كثرته. ولم يروِ أحدٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر منه؛ لِمُلازِمته له، فقد بلغت مرويّاته 5374 حديثاً. روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : إنكم تقولون: إن أبا هريرة يُكثِر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبي هريرة؟ وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصَّفق بالأسواق (10)، وكنت أُلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا. وكان يشغل إخوتي من الأنصار عمَل أموالهم، وكنت امرأً مسكيناً من مساكين الصُّفّة، أعني حين ينسون، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث يحدثه : إنّه لن يبسط أحدٌ ثوبه حتى أفضي جميع مقالتي هذه ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعى ما أقول ، فبسطت نمرّة عليّ، حتّى إذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته جمعتها إلى صدري، فما نسيت من مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك من شيء (11).

توفي أبو هريرة رضي الله عنه سنة سبَع وخمسين للهجرة (12).

(9) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: بيان أنّ الإسلام بدأ غريباً (130/1)، برقم (145) وهناك روايات أخرى للحديث مُتعدّدة في غير صحيح مسلم، ينظر مثلاً : جامع الترمذي (18/5)، وسنن ابن ماجه (1319/2).

(10) يعني : البيع والشراء.

(11) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب البيوع، باب: ما جاء في قول الله عز وجل: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾، في (247/4)، رقم (2047).

(12) ينظر: سير أعلام النبلاء (578/2)، وتهذيب التهذيب (262/12).

المباحث اللغوية:

الكلمة	معناها
غريباً:	العُرْبَةُ نَوْعَانِ حِسْبِيَّةٌ كَالْعَيْشِ فِي غَيْرِ الْوَطَنِ، وَمَعْنَوِيَّةٌ وَهِيَ الْمَرَادَةُ هُنَا، وَالْمَعْنَى: أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ فِي اسْتِقَامَتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَتَمَسُّكِهِ بِدِينِهِ وَتَجَنُّبِهِ لِلْفِتَنِ غَرِيباً بَيْنَ قَوْمٍ لَيْسُوا كَذَلِكَ. والغربة نِسْبِيَّةٌ، قَدْ تَكُونُ فِي مَكَانٍ دُونَ آخَرَ، أَوْ فِي زَمَانٍ دُونَ آخَرَ.
بدأ الإسلام غريباً:	قال القاضي عياض: ظاهر الحديث العموم، وأنَّ الإسلامَ بدأ في آحادِ النَّاسِ وَقَلَّةٍ، ثُمَّ انْتَشَرَ وَظَهَرَ، ثُمَّ سَيَلَحَّهُ النَّقْصُ وَالْإِخْلَالُ حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا فِي آحَادِ النَّاسِ وَقَلَّةٍ أَيْضاً كَمَا بَدَأَ.
فطوبى للغرباء:	قال النووي رحمه الله: وأما معنى طوبى فاختلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَعَابٍ﴾ [الرعد: 29]. فقليل معناه: فَرَحٌ وَفَرَّةٌ عَيْنٌ، وَقِيلَ: نِعْمٌ مَا مَهَلٌ، وَقِيلَ: غِبْطَةٌ لَهُمْ، وَقِيلَ: خَيْرٌ لَهُمْ وَكَرَامَةٌ، وَقِيلَ: الْجَنَّةُ، وَقِيلَ: شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مُحْتَمَلَةٌ فِي الْحَدِيثِ (13).

الأحكام والتوجيهات:

- 1- دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى عِظَمِ فَضْلِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا فِي بَدَايَةِ الْبُعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ؛ لِانْطِبَاقِ وَصْفِ الْغُرَبَاءِ عَلَيْهِمْ، حَيْثُ كَانَتْ غُرْبَتُهُمْ مَعْنَوِيَّةً، حِينَ خَالَفُوا مَا عَلَيْهِ قَوْمُهُمْ مِنَ الشَّرِكِ وَالضَّلَالِ.
- 2- التَّمَسُّكُ بِدِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالِاسْتِقَامَةُ عَلَيْهِ، وَالِاقْتِدَاءُ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ صِفَةُ الْمُؤْمِنِ الْحَقِّ الَّذِي يَرْجُو ثَوَابَ الْغُرَبَاءِ وَإِنْ خَالَفَهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَالْعِبْرَةُ بِالتَّمَسُّكِ بِالْحَقِّ لَا بِمَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: 116].
- 3- عِظَمُ أَجْرِ الْغُرَبَاءِ وَكَثْرَةُ ثَوَابِهِمْ وَعُلُوُّ مَنْزِلَتِهِمْ، وَالْمَقْصُودُ بِهِمُ الْغُرَبَاءُ بِدِينِهِمْ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ الْمُبْتَدِعِينَ عَنْ أَوْطَانِهِمْ.

(13) ينظر: شرح النووي على مسلم (167/2)، بتصرف يسير، وليعلم أن هذا من تفسير التنويع والتفسير للشئء ببعض أفرادهِ.

4- جاء في عدّد من الروايات أنّ العُرباء هم : الذين يصلّحون إذا فسّد النَّاسُ، وجاء أيضاً : هم الذين يُصلّحون ما أفسّد النَّاسُ⁽¹⁴⁾، وهذا يدلّ على أنّ مجرّد الصّلاح للنّفس لا يكفي، بل ينبغي السّعي بالحكمة واللّين والرّفق لإصلاح مَنْ فسّد من النَّاس ليصدّق على المؤمن ووصف العُرباء الذين مُدحوا في هذا الحديث.

الأسئلة:

- س 1: ما معنى العُربة في اللّغة ؟ وأي المعاني ينطبّق على التّعريف الاصطلاحيّ ؟
- س 2: وضّح المراد بقوله: (بدأ الإسلام غريباً) ؟
- س 3: اذكر بعض أوصاف العُرباء ؟
- س 4: هل تكون العُربة في زمن دون آخر ؟ وضّح ذلك.
- س 5 : لماذا كان أبو هريرة رضي الله عنه أكثر الصحابة روايةً للحديث ؟

(14) راجع تخريج الحديث (ص 17).

* للاستزادة ينظر رسالة: كشف الكُربة في وصف حال أهل العُربة للحافظ ابن رجب، ومدارج السّالكين للإمام ابن القيم، منزلة العربة (203/3).

الحديث الثالث:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعَجِبُهُ التَّيْمُنُ فِي تَنَعُّلِهِ، وَتَرْجُلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ)) مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (15)

التعريف بالراوي:

هي الصَّدِيقَةُ بنت الصَّدِيقِ، عَائِشَةُ بنت أبي بكر رضي الله عنهما أم المؤمنين، زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَشْهَرُ نِسَائِهِ، وَهِيَ مِنْ أَكْثَرِ الصَّحَابَةِ رَوَايَةَ لِلْحَدِيثِ وَبِخَاصَّةٍ مَا يَتَّصِلُ بِحَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَسْرِيَّةِ دَاخِلَ بَيْتِهِ، اشتهرت رضي الله عنها بفقهها وعلمها وحفظها وأدبها، تُوفِّيت رضي الله عنها سنة سَبْعٍ وَخَمْسِينَ لِلْهِجْرَةِ وَصَلَّى عَلَيْهَا أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه. (16).

المباحث اللغوية:

الكلمة	معناها
يُعَجِبُهُ:	الإعجاب بالشئ: محبته، ويُؤَيِّدُهُ ما جاء في رواية أخرى للشيخين: يَجِبُ. (17)
التَّيْمُنُ:	هو الابتداء باليمين.
تَنَعُّلُهُ:	التَّعَلُّ: لبس النعل، وهو الحذاء، والمراد به: كل ما وقَّيت به القَدَمَ مِنَ الْأَرْضِ. والتَّيْمُنُ فِي تَنَعُّلِهِ: أَنْ يَبْدَأَ بِلبس النعل لِلرَّجُلِ الْيُمْنِي.
تَرْجُلُهُ:	أي تَرْجِيلُ شَعْرِهِ، والمراد: تَسْرِيحُهُ، وَدَهْنُهُ، وَيَدْخُلُ فِيهِ شَعْرُ الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ. والتَّيْمُنُ فِي تَرْجُلِهِ: أَنْ يَبْدَأَ بِالشَّقِّ الْأَيْمَنِ مِنَ الرَّأْسِ أَوْ اللَّحْيَةِ فَيُسْرِّحَهُ وَيُنْظِفُهُ وَيَدَهْنُهُ.
طُهُورِهِ:	تُضَبُّطُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ بِفَتْحِ الطَّاءِ وَضَمِّهَا. فعلى فَتْحِ الطَّاءِ: يَكُونُ الْمُرَادُ: مَا يَتَطَهَّرُ بِهِ مِنَ الْمَاءِ وَالتُّرَابِ. وَبِضَمِّ الطَّاءِ هُوَ فِعْلُ الطَّهَارَةِ كَالغُسْلِ وَالْوُضُوءِ وَنَحْوَهُمَا، وَهُوَ الْمُرَادُ فِي الْحَدِيثِ. وَالتَّيْمُنُ فِي طُهُورِهِ: الْبَدَاءَةُ بِمِيَامِنِ أَعْضَائِهِ، فَيَبْدَأُ بِالْيَدِ الْيُمْنِي، وَالرَّجْلِ الْيُمْنِي، فِي الْوُضُوءِ. وَفِي الْغُسْلِ يَبْدَأُ بِالشَّقِّ الْأَيْمَنِ مِنَ الْجِسْمِ.
وفي شأنه كلّه:	المعنى أَنَّهُ يَبْدَأُ بِالْيَمِينِ فِي جَمِيعِ شُؤُونِهِ كُلِّهَا، وَالْمُرَادُ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ الْمُسْتَحْسَنَةِ، قَالَ الشَّيْخُ تَقِيّ

(15) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب: التَّيْمُنُ فِي الْوُضُوءِ وَالغُسْلِ (269/1)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب

الطَّهَارَةِ، باب: التَّيْمُنُ فِي الطَّهْوَرِ وَغَيْرِهِ (226/1)، برقم (268).

(16) ينظر: سير أعلام النبلاء (2/135)، وتَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ (12/344).

(17) ينظر صحيح البخاري حديث رقم (426)، وصحيح مسلم الموضع السابق.

الدِّين بن دقيق العيد رحمه الله: هو عامٌ مخصوص؛ لأنَّ دخولَ الحَلَاءِ والخروجَ مِنَ المَسْجِدِ ونحوهما يبدأ فيهما باليسار (18).

الأحكام والتوجيهات:

- 1- في هذا الحديث بيانٌ لِفَضْلِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، وبِخَاصَّةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا العالمة الفقيهة، التَّيَمُّنَ الوَرَعَةَ، حيث حَرَصَتْ عَلَى تَلَقِّي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَنَشْرُهَا؛ لَكِي تُطْلَعَ الْأُمَّةُ عَلَى الْأَحْوَالِ الدَّقِيقَةِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَقْتَدُوا بِهِ.
- 2- دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى اسْتِحْبَابِ التِّيَامُنِ فِيمَا ذُكِرَ فِي الْحَدِيثِ، وَمَا ذُكِرَ هُنَا مِنْ بَابِ التَّمْثِيلِ فَقَطْ، وَإِلَّا فَالضَّابِطُ فِي ذَلِكَ: أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ بَابِ التَّكْرِيمِ وَالزَّيْنَةِ يُبَدَأُ بِالْيَمِينِ، وَمَا كَانَ بِخِلَافِهِ يُبَدَأُ بِالْيَسَارِ.
- وَمِنْ أَمْثَلَةٍ مَا يُبَدَأُ بِالْيَسَارِ أَوْ تُسْتَعْمَلُ فِيهِ الْيَسَارُ: دُخُولُ دَوْرَةِ الْمِيَاهِ، وَالخُرُوجُ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَخَلْعُ الثَّوْبِ، وَالاسْتِنْحَاءِ، وَتَنْظِيفِ الْأَنْفِ، وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ.
- قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ: قَاعِدَةُ الشَّرْعِ الْمُسْتَمَرَّةُ: أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ بَابِ التَّكْرِيمِ وَالتَّزْيِينِ اسْتُحِبَّ فِيهِ التِّيَمُّنُ؛ وَمَا كَانَ بِضِدِّهَا اسْتُحِبَّ فِيهِ التِّيَاسُرُ (19).
- وَمِنْ أَمْثَلَةٍ مَا يُبَدَأُ بِالْيَمِينِ أَوْ تُسْتَعْمَلُ فِيهِ الْيَمِينُ غَيْرَ مَا ذَكَرَ: لُبْسُ الثَّوْبِ، وَدُخُولُ الْمَسْجِدِ، وَقَصِّ الشَّارِبِ، وَحَلْقِ الرَّأْسِ، وَالسَّلَامِ مِنَ الصَّلَاةِ، وَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَأَخْذُ الْأَشْيَاءِ وَإِعْطَاؤُهَا، وَالْمَصَافِحَةَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ.
- 3- دِينُنَا الْإِسْلَامِيُّ دِينٌ كَامِلٌ، أَرْشَدَ الْأُمَّةَ إِلَى مَا يُصْلِحُ شَأْنَهُمْ، وَيُعْلِي مَكَانَتَهُمْ، وَيُمَيِّزُهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ، وَيَنْفَعُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَجَهُمْ، فَمَا مِنْ خَيْرٍ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَمَا مِنْ شَرٍّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَقْتَدِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَسُلُوكِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ، فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُدْوَةُ وَالْأُسْوَةُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ.

(18) انظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام له (91/1) (شرح الحديث التاسع)، ونقله ابن حجر بتصرف يسير في فتح الباري (شرح الحديث المذكور)، ومنه نقلنا.

(19) شرح النووي على مسلم (169/3)، بتصرف يسير، وانظر للاستزاد: كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (108/31) - (113).

4- في هذا الحديث الشريف يتبين ثَمُول الشريعة الإسلامية لجميع شؤون الحياة، حتى هذه الأشياء التي قد لا يتنبه لها الإنسان يجد توجيهاً كريماً من الإسلام فيها فيؤجر المسلم عند عمله هذه الأعمال ما دام مُرْتَبِطاً بِشَرَعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمُقْتَدِياً بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

5- أمر المسلم بأن يكون مَنْظَرُهُ حَسَنًا، فقد كان الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَنَظَّفُ وَيَتَنَهَّرُ وَيَتَنَظَّفُ وَيُسْرِحُ شَعْرَهُ وَيُدْهِنُهُ، ولكن هذا لا يَعْنِي المبالغة في هذا الأمر بحيث يَطْغَى على اهْتِمَامَاتِهِ، فعليه بالتوازن، بمعنى أن يَهْتَمَّ في نِظَافَتِهِ ولكن لا يُبَالِغُ - كما ذُكِرَ - حتى لا يَنْحَرِفَ إِلَى حَدٍّ غَيْرِ مَرْضِيٍّ.

الأسئلة:

- س 1: بين ما يُسْتَحَبُّ فِيهِ التَّيَامُنُ أَوْ التَّيَاسُرُ فيما يلي:
- تَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، لُبْسُ الثَّوْبِ، تَقْدِيمُ الْمَاءِ لِلضُّيُوفِ، تَقْدِيمُ التُّقُودِ لِلْبَائِعِ، الْخُرُوجُ مِنَ الْمَسْجِدِ.
- س 2: كيف تَسْتَنْبِطُ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ يَدُلُّ عَلَى ثَمُولِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِجَمِيعِ شُؤُونَ الْحَيَاةِ ؟
- س 3: ما المراد بالتَّزَجُّلِ ؟

الحديث الرابع:

عن جابر رضي الله عنه قال: ((بَعَثْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَ عَلَيْنَا أبا عُبَيْدَةَ، نَتَلَقَى عَيْرًا لِقُرَيْشٍ، وَزُوْدَنَا حِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً، قَالَ (20): فَقُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّيْئِي، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ، وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعَصِيْنَا الْحَبَطَ، ثُمَّ نَبْلُهُ بِالْمَاءِ فَنَأْكُلُهُ، قَالَ: وَانْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَرَفَعَ لَنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الْكَثِيبِ الضَّخْمِ، فَأَتَيْنَاهُ، فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرُ، قَالَ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَيْتَةٌ، ثُمَّ قَالَ: لَا، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَدْ اضْطَرَرْتُمْ فَكُلُوا، قَالَ: فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْرًا، وَنَحْنُ ثَلَاثُمِائَةٍ، حَتَّى سَمِنَّا، قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْنَا نَعْتَرِفَ مِنْ وَقْبِ عَيْنِهِ بِالْقِلَالِ الدُّهْنِ، وَنَقَطَعَ مِنْهُ الْفِدْرَ كَالثَّوْرِ، أَوْ كَقَدْرِ الثَّوْرِ، فَلَقَدْ أَخَذَ مِنَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ثَلَاثَةَ عَشْرَ رَجُلًا فَأَقْعَدَهُمْ فِي وَقْبِ عَيْنِهِ، وَأَخَذَ ضَلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهَا فَأَقَامَهَا ثُمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا، وَتَرَوْدَنَا مِنْ لَحْمِهِ وَشَائِقِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: ((هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٍ فَتُطْعَمُونَا))؟ قَالَ: فَأَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ فَأَكَلَهُ ((مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ (21)).

التَّعْرِيفُ بِالرَّوَايِ:

هُوَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حِرَامِ الْأَنْصَارِيِّ، لَهُ وَأَبِيهِ صُحْبَةٌ، شَهِدَ مَعَ أَبِيهِ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الْأَخِيرَةَ، وَكَانَ أَبُوهُ أَحَدَ الثُّقَبَاءِ فِي الْبَيْعَةِ، شَهِدَ مَشَاهِدَ كَثِيرَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً.

وَهُوَ أَحَدُ الْمَكْتَبِينَ لِرِوَايَةِ الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ لَهُ حَلَقَةٌ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ يَجْتَمِعُ النَّاسُ فِيهَا لِيَأْخُذُوا عَنْهُ الْعِلْمَ، وَقَدْ كَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنَ الْمُعَمَّرِينَ، فَهُوَ مِنْ أَوَاخِرِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ مَاتُوا بِالْمَدِينَةِ، تَوَفَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ، وَعَاشَ أَرْبَعًا وَتِسْعِينَ سَنَةً. (22).

الْمَبَاحِثُ اللَّغَوِيَّةُ:

(20) القائل هو: أبو الزبير المكي راوي الحديث عن جابر رضي الله عنه.

(21) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب: غزوة سيف البحر (77/8)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصياد والذبائح، باب: إباحة ميتات البحر (1535/5)، رقم (1935)، واللفظ لمسلم.

(22) ينظر: سير أعلام النبلاء (189/3)، وتهذيب التهذيب (42/2).

معناها	الكلمة
أصل البعث: إثارة الشيء وتوجيهه، والمراد هنا: أرسلنا في جيشٍ صغيرٍ لنقوم بمهمةٍ مُعيَّنة.	بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:
أي جعل علينا أبا عبيدة أميراً.	أمر علينا أبا عبيدة:
عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي، مشهور بكُنْيته، أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا وما بعدها، سمَّاه الرسول صلى الله عليه وسلم أمير هذه الأمة، وكان قائداً، حكيماً شجاعاً، مات رضي الله عنه بالشَّام سنة ثمان عشرة من الهجرة، وعاش ثمان وخمسين سنة. (23).	وأبو عبيدة هو:
العير: هي الإبل التي تحمل المتاع، والمراد هنا: نتصدى لهذه العير حتى نستولي عليها.	نتلَّى عيراً لثريش:
الجراب هو الوعاء: ويضبط بكسر الجيم وفتحها، والكسر أفصح.	وزودنا جراباً من تمر:
بفتح الخاء والباء: الورق الساقط من الشجر عند ضربها، والمراد يضربون بالعصي الشجر؛ ليسقط ورقها.	الخبط:
أي: ارتفع فوق ساحل البحر.	فرفع لنا على ساحل البحر:
الرَّمْل المستطيل المحدودب.	الكثيب:
تُطلق في اللُّغة على: كلِّ ما يدب على وجه الأرض، أي: يمشي مشياً خفيفاً، وغلب استعمالها عرفاً على ذوات الأربع.	دابة:
سمكة بحريّة كبيرة، ويُطلق العنبر على الطيب المعروف؛ لأنه روث دابة بحريّة.	العنبر:
يعني فلا يجوز أكلها، ثم نظر في حال قومهم فوجدهم مضطربين، فأمرهم بالأكل منها.	فقال أبو عبيدة: مئنة:
الوقب: يفتح الواو وإسكان القاف، وهو الثفرة التي فيها العين.	من وقب عينه:
بكسر القاف وضمها، جمع قلة، وهي الجرّة الكبيرة التي يقلها الرجل بين يديه، أي: يحملها.	بالقلال:
بكسر الفاء وفتح الدال: القطع، جمع فدرّة، يعني: قطعة.	الفدر:

(23) ينظر: سير أعلام النبلاء (5/1).

كالثور أو قدر الثور:	أي: مثل الثور في ضخامتها.
ثم رَحَلٌ أَعْظَمُ بَعِيرٍ مَعَنَا:	أي: جعل عليه رحلاً، والرحل: ما يُوضَع على ظَهْر البَعِير للركوب.
وتزوَّدنا من لحمه:	أي: أخذنا معنا زاداً من لحمه.
وشائق:	بالشَّين والقاف، وهو اللحم يُؤخَذ فيُعلى قليلاً ولا يُنضج، و مُحِيل في الأسفار، وقيل: الوشائق جمع وشيعة، وهي القديد (24).

الأحكام والتوجيهات:

- 1- حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام قائمة على الرُّهد في الدنيا والتَّقلُّل منها، والصَّبْر على الجوع، وخشونة العيش، ألا ترى كيف يُوزَّع أبو عُبيدة رضي الله عنه التَّمْر تمرَّة تمرَّة، ويُعرب جابر رضي الله عنه عن قلة ذلك التَّمْر وعدم كفايته، فيقول: ((نمَّصُّها كما يمُصُّ الصَّيِّ)).
 - 2- الحرص على الجهاد في سبيل الله والدَّعوة إليه، وأن قلة النَّفَقَة أو الزَّاد لا تمنع من ذلك.
 - 3- التَّعاون في أمور الخير مَطْلَب عَظِيم، له ثمار عَظِيمَة، وآثار إيجابِيَّة، وبركة على المتعاونين، حتَّى عليه الإسلام، وأُرشد إليه الرسول صلى الله عليه وسلم، وطَبَّقَه هو وأصحابه رضي الله عنهم، فَكثُر خَيْرُهُم، وزادت بركة أموالهم، ومن هنا يَنْبَغِي أن يحرص المسلم على التَّعاون في أبواب الخير كلِّها حتى تحصل له ثمرته.
 - 4- يدعو الإسلام إلى حِفْظ كرامَة المسلم، ويحثُّه على جَمْع المال من عَمَل يَدِه، وأن يتعَفَّف به عن السُّؤال، فَيَرْتَفِع عن مَدَلَّة المسألة، روى البخاري وغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((والذي نَفْسِي بيده لأن يأخذ أحدكم حَبْلَه فيَحْتَطِب على ظَهْره خير له من أن يأتي رجلاً فيَسأله، أعطاه أو منعه. (25)).
- هذا هو الأصل في المسلم، ولكن إذا كان السُّؤال يَجِبُ وُذاً ومُحِبَّةً ومُؤانسةً ومُلاطفةً فهذا أمر مُستَحْسَن، بل هو مَطْلُوب، لما يجلبه من الأُنس والمُحِبَّة، كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع أبي عُبيدة وصَحْبِه.

(24) القديد: اللحم يُقَطَّع ثم يُمَلَّح ويَجفَّف في الشَّمْس. انظر تاج العروس مادة (قد).

(25) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: الاستغفار عن المسألة (3/335).

5- يدلّ الحديث على إباحة مَيْتَةِ الْبَحْرِ، مَاتَتْ بِنَفْسِهَا أَوْ مَاتَتْ بِالاصْطِيادِ، وهذا قول جمهور أهل العلم، مُعْتَمِدِينَ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ، وَعَلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَعًا لَكُمْ﴾ الآية [المائدة: 96].

6- السَّفَرُ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى تَنْظِيمٍ وَتَرْتِيبٍ وَخُلُقٍ كَرِيمٍ وَتَحُمُّلٍ، وَمِمَّا تَكْثُرُ فِيهِ الْأَرْاءُ وَتَتَعَدَّدُ وَجْهَاتُ النَّظَرِ، وَأَهْمِيَّتُهُ شَرَعَ الْإِسْلَامَ الْإِمَارَةَ فِيهِ لِمَنْ كَانُوا ثَلَاثَةً أَوْ أَكْثَرَ، وَلِذَلِكَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى هَذِهِ السَّرِيَّةِ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ حَقَّ الْأَمِيرِ الطَّاعَةَ فِي الْمَعْرُوفِ، وَالتَّنْفِيزَ لِأَوَامِرِهِ، وَالانْقِيَادَ لِتَوْجِيهَاتِهِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِذَلِكَ حِينَمَا مَنَعَهُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ امْتَنَعُوا وَحِينَمَا أَمَرَهُمْ بِالْأَكْلِ مِنَ الْحَوْتِ أَكَلُوا مِنْهُ.

7- مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ: الصَّبْرُ وَالْمَصَابِرَةُ لِفِعْلِ الْخَيْرِ وَتَرْكِ الشَّرِّ، وَعَلَى مَا يَقْدِرُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْمَصَائِبِ، وَهَذِهِ السَّرِيَّةُ الَّتِي تَمَتَّعَتْ بِهَذَا الْخُلُقِ النَّبِيلِ كَأَفْأَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِهَذَا الْحَوْتِ الْعَظِيمِ، وَفِي الْآخِرَةِ مَا هُوَ خَيْرٌ وَأَبْقَى، وَيَكْفِي إِشَارَةَ إِلَى التَّحَلِّيِ بِهَذَا الْخُلُقِ أَنَّهُ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي أَكْثَرِ مِنْ تِسْعِينَ مَوْضِعًا.

8- دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى اجْتِهَادِ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - فِي الْقَضَايَا الَّتِي تَمَرَّ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَتِمَّ كُنُوزًا فِيهَا مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَبُو عُبَيْدَةَ اجْتَهَدَ فِي أَكْلِ الْحَوْتِ، ثُمَّ أَقْرَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى اجْتِهَادِهِ، وَزَادَ مِنْ تَطْيِيبِ نُفُوسِهِمْ أَنْ طَلَبَ مِنْ لَحْمِهِ لِيَأْكُلَ.

الْأَسْئَلَةُ:

- س 1: وَضِّحْ مَعْنَى الْكَلِمَاتِ الْآتِيَةِ: الْعَبِيرُ، الْجِرَابُ، الْحَبْطُ، وَقَبْ عَيْنَهُ.
- س 2: (الصَّبْرُ خُلُقٌ نَبِيلٌ)، تَحَدَّثْ عَنِ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ دِرَاسَتِكَ لِهَذَا الْحَدِيثِ.
- س 3: (طَاعَةُ الْأَمِيرِ فِي الْمَعْرُوفِ وَاجِبَةٌ)، بَيِّنْ ثَمَارَ تِلْكَ الطَّاعَةِ مِنْ خِلَالِ دِرَاسَتِكَ لِلْحَدِيثِ.
- س 4: الْعَمَلُ وَالْإِنْتِاجُ مِنْ أَهَمِّ مَا يُرِيدُهُ الْإِسْلَامُ مِنْ أُنْبَائِهِ، كَيْفَ تَسْتَنْبِطُ هَذِهِ الْفَائِدَةَ مِنَ الْحَدِيثِ ؟
- س : 5 مَنْ رَاوَى الْحَدِيثَ ؟ وَمَاذَا تَعْرِفُ عَنْهُ ؟

ثانياً: الثقافة الإسلامية

صُورٌ مِنْ حِرْصِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الدَّعْوَةِ

إِنَّ مُهِمَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ هِيَ دَعْوَةُ النَّاسِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِهَذَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: 125].
وَجَعَلَ الدَّعْوَةَ سَبِيلَهُ، وَسَبِيلَ أَتْبَاعِهِ، فَقَالَ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [الآية [يوسف: 108].

وبهذا تتبين لنا أهمية الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ؛ بَأَنَّهَا هِيَ الطَّرِيقُ إِلَى تَعْيِيدِ النَّاسِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.
حُكْمُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى:

الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَرْضٌ كِفَايَةٌ، إِذَا قَامَ بِهَا مَنْ يَكْفِي سَقَطَ الْإِثْمُ عَنِ الْبَاقِينَ، وَتَكُونُ فَرْضَ عَيْنٍ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ، وَعَلَى بَعْضِ الْأَشْخَاصِ، كَرَبِّ الْأُسْرَةِ مَثَلًا، يَجِبُ عَلَيْهِ (عَيْنًا) أَنْ يُرْشِدَ أُسْرَتَهُ لِلْخَيْرِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الشَّرِّ، وَكَالَّذِي لَا يُوَجِّدُ فِي مَوْضِعِهِ شَخْصًا قَادِرًا عَلَى الدَّعْوَةِ غَيْرُهُ، فَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَيْهِ (عَيْنًا) فَضْلًا:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((فوالله لأن يَهْدِيَ اللَّهُ بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَمِ)) (26).
وقال أيضاً: ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً)) (27).

وقال: ((مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أُجْرِ فَاعِلِهِ)) (28).

1- الجَهْرُ بِالدَّعْوَةِ:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214].

(26) تقدّم تخريجه في الحديث الأول.

(27) رواد مسلم، كتاب العلم، باب: مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً ح (2674).

(28) رواد مسلم، كتاب الإمارة، باب: فَضْلُ إِعَانَةِ الْغَازِي، ح (1983).

خرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى صَعَدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: ((يَا صَبَاحَاهُ))، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: ((أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟)) قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: ((فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ))، قَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّأَ لَكَ، مَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا؟ ثُمَّ قَامَ، فَنَزَلَتْ ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: 1] (29).

2- الدَّعْوَةُ فِي الْمَوَاسِمِ:

كَانَتِ الْقَبَائِلُ تَأْتِي إِلَى مَكَّةَ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَّبِعُهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ، وَمَجَنَّةٍ، وَذِي الْجَازِ، وَكَانَ يَقُولُ لَهُمْ:

- ((أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا)).
- ((مَنْ يُؤْوِينِي، مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ)).
- ((هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ)).
- وَكَانَ عَمَّهُ أَبُو لَهَبٍ يَمْشِي خَلْفَهُ وَيَصِيحُ: لَا يُعْرَتُّكُمْ هَذَا مِنْ دِينِكُمْ وَدِينِ آبَائِكُمْ، وَيَقُولُ إِنَّهُ: صَابِئٌ كَاذِبٌ.

وَكَانَ بَعْضُ النَّاسِ رِمَا اجْتَمَعُوا وَازْدَحَمُوا عَلَيْهِ وَلَا يَقُولُونَ شَيْئًا، وَبَعْضُهُمْ رِمَا سَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ مَا هُوَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَجِبْ، وَبَعْضُهُمْ رِمَا رَدَّهُ رَدًّا قَبِيحًا، وَقَالَ قَوْمُهُ أَعْلَمَ بِهِ.

وَمَعَ كُلِّ هَذَا فَلَمْ يَيْئَسْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ كَانَ يُكْرِّرُ دَعْوَتَهُمْ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ سِنِينَ، حَتَّى لَقِيَهِ الْأَنْصَارُ فَأَمَنُوا بِهِ، وَاتَّبَعُوهُ وَنَصَرُوهُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ (30).

3- الدَّعْوَةُ عَنْ طَرِيقِ الرِّسَائِلِ:

عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى، وَإِلَى قَيْصَرَ، وَإِلَى النَّجَاشِيِّ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ، يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ: وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (31).

(29) رواه البخاري في مواضع، منها: كتاب التفسير، سورة تبت، ح (4971)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: مَنْ مَاتَ كَافِرًا ح (208)، وله ألفاظ وروايات، ومن حديث أبي هريرة بمعناه مع زيادات في البخاري رقم (4771)، ومسلم رقم (204)، وما بعده. وقوله: ((يَا صَبَاحَاهُ)) كَلِمَةٌ يَغْتَادُونَهَا عِنْدَ وَقُوعِ أَمْرِ عَظِيمٍ، فَيَقُولُهَا الْمُنَادِي لِيَجْتَمِعُوا وَيَتَأَهَّبُوا لَهُ.

(30) مجموع من عدّة أخبار وروايات، انظر فيها وفي تخریجها مُفَصَّلًا كتاب: ((السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيحَةُ)) للدكتور / أكرم ضياء العمري، (193/1 - 194)، وللزيادة ينظر: كتاب حياة الصحابة، للكاندهلوي، المجلد الأول.

(31) رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب: كُتِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَلُوكِ الْكُفَّارِ ح (1774).

وكان في كتابه إلى هرقل (قَيصر الرُّوم): ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلٍ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسَلِّمُ تَسَلِّمًا، يُؤْتِيكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِسِيِّينَ)) (32)، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 64].

عن أنس - رضي الله عنه - قال: ما سُئِلَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإنَّ محمداً يُعطي عطاءً لا يخشى الفاقة.

وفي رواية فقال أنس رضي الله عنه: إن كان الرجل لِيُسَلِّمَ ما يُريد إلا الدنيا، فما يُسَلِّم حتى يكون الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها (33).

وعن ابن شهاب الزُّهري قال: غزا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ غزوةَ الفتح فتح مكة ثم خرج رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا بخنن، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم، ثم مائة، ثم مائة. قال ابن شهاب: حدَّثني سعيد بن المسيَّب أنَّ صفوان قال: والله لقد أعطاني رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ما أعطاني وإنَّه لأبغض الناس إليّ، فما برح يُعطيني حتى إنَّه لأحبَّ الناس إليّ (34).

الأسئلة:

س 1: لماذا كانت الدعوة إلى الله تعالى من أهم الأمور؟ ثم اذكر فضلها بالأدلة.
س 2: من وسائل الدعوة: الدعوة بالمال، اذكر ما يدل على ذلك من سيرة النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.
وسلم.

س 3: ما الأمور التي كان النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يعرضها على القبائل في المواسم؟
س 4: صدَّ كُفَّار قُرَيْش رسولَ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن تبليغ دعوة الله، فلماذا؟
س 5: اذكر ثلاث صور أخرى للدعوة إلى الله تعرفها غير ما ذكر؟

(32) الأريسيين: جمع أريسي وهو الفلاح، والمراد أن عليك إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يُسلموا تقليداً لك؛ لأنَّ الأصغر أتباع

الأكابر.

(33) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب: سخائه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ح (2312).

(34) رواه مسلم، الموضع السابق (2313).

س 6: بيّن أخصّ ما يمكن أن يقوم به من صُور الدَّعوة إلى الله كُلاًّ ممّا يلي: التّاجر المسلم،
الكاتب، العامل.

س 7: عدّد ثلاث صورٍ للدَّعوة إلى الله يمكن أن تقوم بها.

حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى وَحَقُّ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أولاً: حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى:

عندما نتحدّث عن حقِّ الله تعالى علينا، لا بدّ أن نستحضِر عَظَمَةَ اللهِ، وأنّه خالقنا ورازقنا، وأنّ كلّ شيء بيده، وكلّ خير وعطاء فهو منه، وكلّ نعمة فهو الممتنّ بها، فكُنّا في الحقيقة ملك له، فقراء إليه، ليس بنا غنى عنه، افترض فرائضه، وحدّ حدوده، وعرفنا حقه علينا رحمةً بنا، من غير احتياج منه لنا، فحَقُّه علينا أعظم حَقٍّ تجب معرفته، ويلزم القيام به، فمن ذلك:

1- الإيمان برُبوبِيّته، وأنّه الخالق الرّازق، المحيي المُميت، ويتضمّن ذلك أيضاً الإيمان بأسمائه وصفاته على الوجه الذي يليق بجلاله من غير تأويل ولا تعطيل، ولا تكليف ولا تمثيل.

2- العبادة: وهي أعظم حَقٍّ لله تعالى، بل كلّ الحقوق داخلّة في معناها، وهي: توحيد الألوهيّة، وهي الغاية من خلق الجنّ والإنس، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريات: 56]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً))⁽³⁵⁾.

والعبادة في اللّغة: التّدلُّل والخُضوع.

وفي الشّرع: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبّه اللهُ ويَرْضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة⁽³⁶⁾. قال ابن تيميّة: "فالدين كلّهُ داخلٌ في العبادة"⁽³⁷⁾.

(35) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب: اسم الفرس والحمار (85/6)، ح (2856)، ومسلم في الإيمان، باب: الدليل على أنّ

من مات على التّوحيد دخل الجنّة (85/1)، ح (30).

(36) العبوديّة، لابن تيميّة (ص 38).

(37) العبوديّة (ص 43).

المحبة:

ومحبة الله أرفع المحاب وأرجاها وأنفعها، فلا يصح إيمان العبد إلا بها، ولا تستقيم نفسه إلا بسلوك طريقها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُجِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ...)). (38)

المحبة الحقيقية: هي التي تدفع صاحبها للعمل بما يرضي ربه، فمن كان بجانباً لما يرضيه، مقارفاً لما يُسخطه، فليس بمحب له في الحقيقة، بل هو مدع كاذب، أو غير جاهل، فليراجع نفسه، وليفتش قلبه، فإن علامة صدق هذه المحبة: الاتباع، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: 31].

وثمرتها: محبة الله تعالى للعبد، ومغفرة ذنوبه، كما في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: 31].

وسائل تقويتها: الطاعة، واستشعار المعية الدائمة، وكثرة الذكر، وتلاوة القرآن، ومجالسة الدّاكِرِين، ومفارقة الغافلين، وكثرة الدعاء والتضرع، واستشعار نعمه وآلائه، والتفكير في مخلوقاته.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته (39).

الخوف:

وليس الخوف كلمة تُقال باللسان، بل هو شعور في القلب، يجعل صاحبه حذراً مما يخافه، فمن خاف الله اتقاه، فالمؤمن يخاف الله ويخشاه، ويخاف عذابه، فهو يحذر مما يُسبب غضب الله عليه، ومن خاف اليوم أمن غداً، قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ الآية [الرحمن: 46]، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [التازعات: 40-41].

قال الحسن البصري رحمه الله: إن المؤمن جمع إحساناً وخشياً، والمنافق جمع إساءةً وأمناً. (40)

(38) رواد البخاري، كتاب الإيمان، باب: حلاوة الإيمان (60/1)، ح (16).

(39) فتح الباري (61/1)، شرح الحديث رقم (16).

(40) مدارج السالكين، منزلة الخوف (549/1 - 551)، وانظر: شرح الطحاوية، عند قول الطحاوي: الأمن والإياس يُنقلان

عن ملة الإسلام (212 - 213).

قال ابن القيم رحمه الله: والخوفُ المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عزَّ وجلَّ.
الرجاء:

وهو التَّطَلُّعُ إلى رَحْمَةِ اللهِ تعالى وَفَضْلِهِ، وهو ثلاثة أنواع:

(أ) رَجَاءٌ مِنْ شَخْصٍ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللهِ تعالى فهو يَرْجُو ثَوَابَهَا.

(ب) رَجَاءٌ مِنْ شَخْصٍ أَذْنَبَ ذُنُوبًا، ثم تاب منها، فهو راجٍ لمغفرة الله وعفوه، وهذان محمودان.

(ت) رَجَاءٌ مِنْ شَخْصٍ مُتَمَادٍ فِي التَّقْرِيطِ وَكَسْبِ الخَطَايَا، فهو يَرْجُو رَحْمَةَ اللهِ بِلا عَمَلٍ، وهذا غرورٌ

وَرَجَاءٌ كاذِبٌ، وهو في الحقيقة تَمَرٌّ لا رَجَاءً، لهذا فَرَّقَ العلماءُ بين التَّمَنِّيِّ والرَّجَاءِ، وأجمعوا أنَّ

الرَّجَاءَ لا يَصِحُّ إِلَّا مع العَمَلِ (41).

قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 218]، وينبغي أن يكون المؤمن خائفًا من الله تعالى دائماً، راجياً إِيَّاهُ، فإن غلب عليه

أحدهما خيفَ عليه، فإن غَلَبَ عليه الرَّجَاءُ خِيفَ عليه التَّهَؤُنُ وَالْفَسَادُ، وإن غَلَبَ عليه الخَوْفُ خِيفَ عليه

اليَأْسُ وَالقُنُوطُ، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ

الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: 49-50].

(41) مدارج السالكين، منزلة الرجاء (37/2). وانظر: شرح الطحاوية، عند قول الطحاوي: "ونرجو للمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ

يَعْفُو عَنْهُمْ. .." (ص 306-312).

وقال تعالى في وصف بعض عبادِه: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ الآية [الإسراء: 57].
 وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لو يَعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الذي عند الله مِنَ الرَّحْمَةِ لم يَيْئَسُ مِنَ الجنةِ، ولو يَعْلَمُ المسلمُ بِكُلِّ الذي عند الله مِنَ العَذَابِ لم يَأْمَنُ مِنَ النَّارِ)) (42).
الشُّكْرُ:

قد أمر الله تعالى بِشُكْرِهِ، ونهى عن ضِدِّهِ، فقال: ﴿وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ الآية [البقرة: 152]، وليس الشُّكْرُ مجرَّد التُّنْقُطِ بِاللِّسَانِ، بل الشُّكْرُ واجبٌ بِالْقَلْبِ، واللِّسَانِ، والجوارِحِ.
 فحَقِيقَةُ الشُّكْرِ: ظُهُورُ أثرِ نِعْمَةِ اللهِ على لِسَانِ عَبْدِهِ بِالشَّيْءِ والاعترافِ، وعلى قَلْبِهِ بِالْمَحَبَّةِ ونحوها، وعلى جوارِحِهِ بالانقياد والطَّاعَةِ، قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آيَاتِنَا لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الآية [سبأ: 13].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: والشُّكْرُ مَبْنِيٌّ على خَمْسِ قَوَاعِدَ: خُضُوعُ الشَّاكِرِ لِلْمَشْكُورِ، وَحُبُّهُ لَهُ، واعترافُهُ بِنِعْمِهِ، وَتَنَاوُؤُهُ عَلَيْهِ بِهَا، وَأَنْ لَا يَسْتَعْمِلَهَا فِيمَا يَكْرَهُ (43).
 ثانياً: حَقُّ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين نَتَحَدَّثُ عن حَقِّ المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّا لَا نَتَحَدَّثُ عن شَخْصٍ كسائرِ البَشَرِ، بل هو أَفْضَلُ مَنْ خَلَقَهُ اللهُ، وهو المَبْلَغُ عن اللهِ، وصاحبِ المَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ والمقامِ المَحْمُودِ (44)، هو سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ، وهو الذي يَبْعَثُهُ سُدَّتْ جَمِيعُ الأبوابِ إلى الجنةِ إِلَّا بابَهُ، وكلَّ الطُّرُقِ الموصِلَةِ إلى اللهِ إِلَّا طَرِيقَهُ، فَمَنْ اتَّبَعَهُ اهْتَدَى، وَمَنْ تَنَكَّبَ عن طَرِيقِهِ ضَلَّ وَعَوَى، فَلَهُ عَلَيْنَا حَقُوقٌ تَلْزِمُ مُرَاعَاتَهَا، منها:

(42) رواه البخاري في الرِّقَاقِ، باب: الرَّجاءُ مع الخوفِ رقم (6469)، واللَّفْظُ لَهُ، ومسلم في التَّوْبَةِ، باب: سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ، رقم (2755).

(43) مدارج السَّالِكِينَ، مَنزِلَةُ الشُّكْرِ (254/2).

* لِلتَّوَسُّعِ انظر: الشُّفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي رحمه الله تعالى.

(44) المقام المَحْمُودُ هو الشُّفاعةُ الكَبِيرةُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انظر تفسير الآية 79 من سورة الإسراء تفسير الطَّبْرِيِّ، وتفسير ابن كثير، وفتح الباري شرح الحديث رقم (614)، و(4718، 4719)، و(6558)، في الرِّقَاقِ، باب: صِفَةُ الجنةِ والنَّارِ، شرح الحديث الحادي عشر، وهو أوسع المواضع.

1- الإيمان بأنه رسولٌ من عند الله تعالى أرسله الله تعالى للبشر كافةً نذيراً وبشيراً وهدياً إلى الله وسراجاً مُنيراً، وأنه خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [آل عمران: 144].

2- وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴿ [الأحزاب: 40].

3- محبته صلى الله عليه وسلم: فمن حقه صلى الله عليه وسلم علينا أن نُحِبَّه أكثر مما نحب أنفسنا، فضلاً عن آبائنا، وأمهاتنا، وأولادنا، وهذه المحبة دين ندين الله تعالى به، نشعر بها داخل قلوبنا، ونرى آثارها في سلوكنا.

عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، والناس أجمعين " (45).

وعن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي))، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((الآن يا عمر)) (46). وهذه منزلة عظيمة لا يبلغها إلا الصادقون، وأنت إذا تأملت ذلك عرفت السبب الذي لأجله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه المثابة، وذلك أنه هو السبب في نجات نفسك من المهلكات في الدنيا والآخرة. (47)

وسبيل تنمية هذه المحبة: استشعار ما قدمه الرسول صلى الله عليه وسلم وأوصله لنا من الخير العظيم، وطاعته، ومتابعته، والافتداء به، وكثرة ذكره، والصلاة عليه، والاستشهاد بأقواله وأفعاله، وإدمان المطالعة في سيرته، فمن لا يعرف عنه إلا اسمه كيف يحبه؟! والمطالعة في سيرة أصحابه، وكيف كانت محبتهم له، ومعاملتهم معه، وهذه من أحسن الوسائل لزيادة محبته.

4- طاعته وأتباعه:

45 (رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: حُبِّ الرُّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْإِيمَانِ (58/1)، ح (15).

46 (رواه البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب: كيف كانت يعين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (523/11)، ح (6632).

47 (ينظر: فتح الباري (528/11)، في الإيمان والنذور، باب (3)، (59/1)، شرح حديث رقم (15).

فَطَاعَتُهُ: امتثال أمره، واجتنب نهيهِ، فأمره ونهيه حُجَّةٌ على كلِّ مَنْ بَلَغَهُ ذلك، لا يجوز له التَّأخُّرُ ولا التَّوَانِي عن الاستجابة له، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: 24].

ومن اتَّباعه: الاقتداء به في عِبَادَتِهِ، وسُلُوكِهِ، وفي كلِّ عَمَلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ممَّا هو داخلٌ في حُكْمِ الواجب والمستحبِّ، فالرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُدْوَةٌ لَنَا فِي كُلِّ مَجَالٍ يُقَرَّبُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وقد اهتمَّ الأئمَّةُ بجمع أحوال النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأوصافه وأخلاقه، ومن أحسن ما ترى في هذا كتاب: (زاد المعاد في هدي خير العباد) للعلامة ابن القيم رحمه الله تعالى.

5- الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]، وهي واجبة في الصَّلَاةِ، وعند ذِكْرِهِ، ومشروعة في مواضع كثيرة، منها: في الصُّبْحِ، والمساء، وفي كلِّ مَجْلِسٍ، وبعد الأذان، ويُستحبُّ الإكثار منها يوم الجمعة. وفي فضلها قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا)) (48). وفي ذمِّ تاركها قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ)) (49).

6- نَشْرُ سُنَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالذَّبُّ عَنْهَا، وَالِدَّعْوَةُ إِلَيْهَا:

وهذا من حُقوقِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَظِيمَةِ؛ إذ إنَّ هَدْيِهِ وَسُنَّتَهُ الْمَصْدَرُ الثَّانِي لِلتَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ، وبها كَمُلُ الدِّينِ، وأتمت النَّعْمَةَ، وبَنَشْرِهَا يَنْتَشِرُ الدِّينُ فِي الْأَرْضِ، وَيَعْمُ الْخَيْرُ وَيَنْدَجِرُ الشَّرُّ وَأَهْلُهُ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَحَمَلَهَا إِلَى غَيْرِهِ فَرَبَّتْ حَامِلًا فَفَقَّهَ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ،

(48) رواه مسلم، كتاب الصَّلَاةِ، باب: الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (306/1)، ح (408).

(49) رواه الترمذي، كتاب الدَّعَوَاتِ، باب: قول النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ (515/5)، ح (3546)، وأحمد

(201/1)، والنسائي في: ((عمل اليوم والليلة)) (56).

وصحَّحه ابن حبان (189/3 - 190)، ورواه غيرهم، وقال الحافظ ابن حجر: لا يُقْصَرُ عن دَرَجَةِ الْحَسَنِ كَمَا فِي فَتْحِ الْبَارِي

(168/11)، كتاب الدَّعَوَاتِ، باب: الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال السَّخَاوِيُّ فِي الْقَوْلِ الْبَدِيعِ (ص 142): "وبالجملة

فلا يُقْصَرُ الْحَدِيثُ عَنْ دَرَجَةِ الْحُسْنِ."

وَرُبَّ حَامِلٍ فِئْتِهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ، ثَلَاثٌ لَا يَغْلُ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِزُومِ الْجَمَاعَةِ ((الْحَدِيثُ (50).

7- مَحَبَّةُ أَصْحَابِهِ، وَتَوْقِيرُهُمْ:

فَمَحَبَّتُهُمْ وَاجِبَةٌ، وَسَبُّهُمْ زَنْدَقَةٌ (51)، فَهُمْ حَمَلَةُ الدِّينِ، وَأَصْحَابُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَهُمْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ)) (52).

وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَذْكُرَهُمْ بِدَمٍّ، أَوْ يَطْعَنَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ بِعَيْبٍ أَوْ نَقْصٍ.

الْأَسْئَلَةُ:

- س 1: مَا الْمَحَبَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِلَّهِ تَعَالَى؟ وَمَا عِلْمَةُ صِدْقِهَا؟ وَمَا ثَمَرَتُهَا؟
- س 2: مَا الرَّجَاءُ؟ وَمَا أَنْوَاعُهُ؟ مَعَ بَيَانِ الْمَحْمُودِ مِنْهُ وَالْمَذْمُومِ. وَمَاذَا يُسَمَّى الْمَذْمُومُ مِنْهُ؟
- س 3: مَا حَقِيقَةُ الشُّكْرِ؟ وَمَا قَوَاعِدُهُ؟ ثُمَّ اذْكُرِ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ الشُّكْرَ يَكُونُ بِالْعَمَلِ.
- س 4: اذْكُرِ مَا تَسْتَطِيعُهُ مِنْ وَسَائِلِ تَنْمِيَةِ مَحَبَّةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- س 5: عَدَّدْ خَمْسَةً مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يُشْرَعُ فِيهَا الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

⁵⁰ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ فِي (183/5)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ، بَابِ: فَضْلُ نَشْرِ الْعِلْمِ فِي (438/3)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ، بَابِ: مَا جَاءَ فِي الْحَثِّ عَلَى تَبْلِيغِ السَّمَاعِ فِي (33/5)، وَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ بِمَجْمُوعِ طُرُقٍ، وَقَدْ أَوْصَلَهُ بَعْضُهُمْ إِلَى حَدِّ التَّوَاتُرِ .

⁵¹ انظُر: الصَّارِمُ الْمَسْلُوبُ، لِابْنِ تَيْمِيَّةٍ (ص 567) وَمَا بَعْدَهَا .

50 (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابِ: قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا (21/7)، رَقْمُ (3673).

القرآن الكريم خصائصه وحقوقه

عندما نتحدث عن القرآن، فلا بد أن نستشعر أنه ليس كلام بشر، بل هو كلام الله، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته، الذي أعجز البشر أن يأتوا بمثله، بل ولا بسورة من مثله، أنزل ليكون منهاج حياتنا، وطريق عزنا، وسبيل رفعتنا ومجدنا، إن تمسكنا به هدينا ونصرنا، وإن فرطنا فيه خذلنا وهزمتنا.

خصائص القرآن:

للقرآن خصائص كثيرة، منها:

1- أنه محفوظ من التحريف والضياع، والزيادة والنقصان، وذلك لأن الله تعالى تولى حفظه بنفسه، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، فهيأ له أسباباً للحفظ، منها:

(أ) الأمة المعتادة على الحفظ، فقد كان الحفظ معروفاً في العرب، فهم يحفظون القصائد الطوال حين يسمعونها لأول مرة، ويحفظون الخطب الطويلة كذلك.

(ب) هيأ له علماء حفاظاً مجتهدين في حفظه، ويعلمونه أولادهم وتلاميذهم، ويتدارسونه، ويكتبونه وينقله الآخر عن الأول بالأسانيد المتصلة، ولذلك تجد أئمة القراء كثير، من عهد الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم إلى عصرنا هذا.

(ج) جعله سهلاً ميسراً للحفظ.

وأنت ترى حفاظ القرآن الكريم في العالم بالآلاف بل أكثر، في حين أنك لا ترى أحداً من المتممين للأديان الأخرى يحفظ الكتاب المقدس عندهم.

ولم يتول الله تعالى حفظ الكتب السابقة، بل وكلها لأصحابها، كما قال تعالى: ﴿وَالرَّيِّنُونَ وَالْأَحْبَابُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: 44].

من الحكم في حفظ القرآن الكريم:

(أ) أنه آخر كتابٍ يحمل آخر رسالة تبقى إلى قيام الساعة.

(ب) أنه المعجزة الكبرى لِلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو مُعْجِزَةٌ بَاقِيَةٌ لِلْأَجْيَالِ، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ما مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) .(53)

2- أنه خاتم الكتب السماوية والمهيمن عليها:

قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: 48]، والمعنى أنه شامل لما فيها وزائد عليها وشاهد وحاكم عليها، فما وافقه مما فيها فهو حق، وما خالفه فهو إما منسوخ أو باطل باعتباره محرّفاً، وهو حافظ لما فيها من أصول الشرائع، وعالٍ عليها وغالب، وناسخٍ لغير المحكم فيها، فهو أكمل الكتب السماوية وخاتمها. (54)

3- إعجازه والتحدّي به:

قال تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: 88].

4- أن بكل حرف منه حسنة:

عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: ((أَلَمْ)) حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ)) (55).

5- تيسيره وسهولته، فحفظه سهل، وقراءته سهلة يسيرة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر: 22].

6- جمال نظمه وبلاغته، وعظمة أسلوبه فهو يُورد المعاني الكبيرة بعبارات موجزة.

7- عدم الملل من تكرار تلاوته وترديده.

هجر القرآن:

53 (رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي، وأول ما نزل (4981) ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونسخ الملل بملته (134/1)، رقم (125).

54 (ينظر عن تفسير الآية المذكورة: تفسير ابن كثير، وتفسير الشوكاني، والسعدي.

55 (رواه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب: ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر . حديث رقم (2910)،

وقال: " حديث حسن صحيح "

وقبل أن نتعرّف على حقّ القرآن الكريم، فإنّ علينا أن نعرّف معنى هجره، لنحذّره ونجتنبه، فإنّ رسول الله ﷺ قد اشتكى إلى ربّه من هجر قومه للقرآن، فقال فيما ذكر الله تعالى عنه: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: 30].

وهجر القرآن أنواع (56)، منها:

- 1- هجر الإيمان به وتصديق ما فيه.
- 2- هجر سماعه والإصغاء عليه.
- 3- هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه.
- 4- هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه.
- 5- هجره تدبره وفهمه.
- 6- هجر الاستشفاء والتداوي به.
- 7- هجر قراءته والعدول عنه إلى غيره من شعر، أو قول أو غناء.

من حقّ القرآن:

1- الإيمان به، وبكلّ ما جاء فيه، وأنّه كلام الله المنزّل على رسوله ﷺ، والإيمان بأنّه محفوظ لا يتطرّق إليك أدنى شكّ في ذلك، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ء وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ ء وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ء وَكُتُبِهِ ء وَرُسُلِهِ ء وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: 136]، والإيمان به من أركان الإيمان كما في حديث جبريل عليه السلام (57).

2- قراءته وحفظه:

قال ﷺ: ((اقرءوا القرآن فإنّه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه)) (58).

وقال أيضاً: ((يُقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتّل كما كنت تُرتّل في الدنيا، فإنّ منزلتك عند آخر آية تقرأها)) (59).

⁵⁶ (انظر: الفوائد، لابن القيم (ص 82)، وتفسير ابن كثير آية 30 من سورة الفرقان.

⁵⁷ (رواد مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان (8).

⁵⁸ (رواد مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ح (804).

وينبغي أن يُرْتَلَّ القارئ ويجوِّده كما أمر الله تعالى بذلك، فقال: ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَقِلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: 4].

وينبغي أن يكون للمسلم ورْدٌ يوميّ يتلو فيه كتاب الله تعالى، حتى يَحْتِمَهُ، وليَحْرِصَ أن يَحْتِمَهُ كلَّ شهرٍ مرّةً أو أكثر (60)، ولا يَنْشَغِلَ عن قراءته بما لا يَنْفَعُ.

وليَحْرِصَ المسلم على حِفْظِهِ أو حِفْظِ ما تيسَّر منه، قال تعالى واصفاً القرآن: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: 49]، فوصف الحفّاظ بأنهم من أهل العلم، وحِفْظُهُ سُنَّةٌ أئمةُ الدِّين، من الصّحابة والتابعين، ومن بعدهم إلى يومنا هذا.

وليَحْرِصَ المسلم على تَرْديد ما حَفِظَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي قِيَامِهِ وَقُعُودِهِ، وَدَهَابِهِ وَإِيَابِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِهِ، وَأَكْثَرَ لِحَسَنَاتِهِ، قال ﷺ: ((لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ...)) (61).

وينبغي للحافظ مُراجعتَهُ وتَعَاهُدَ قِراءَتِهِ حتى لا يَتَفَلَّتَ منه، قال ﷺ: ((تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ، فوالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الْإِبْلِ فِي عَقْلِهَا)) (62).
والعُقل: جمع عِقَال، وهو ما يَرِيطُ بِهِ البَعِيرُ.

3- العَمَلُ بِهِ:

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الرُّم: 55].

وقال: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: 155].

وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه أوّل مَنْ يَعمَلُ بِالْقُرْآنِ، سُئِلَتْ عائِشةُ رضي الله عنها عن خُلُقِ رَسولِ الله ﷺ فقالت للسّائل: أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قال: بلى، قالت: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كان القرآن (63).

⁵⁹ (رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب: استحباب الترتيل في القراءة ح (1464)، والترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب: رقم (18)، ح (2914)، وقال الترمذي: "حسن صحيح"، ورواه أحمد (192/2)، وصحّحه ابن حبان، والحاكم، ووافقه الذهبي، ينظر: المستدرک (552/1).

⁶⁰ (والدليل قول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص: ((وقرأ القرآن في كلِّ شهر)) قال قلت: يا نبي الله! إني أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قال: فاقْرَأْ فِي كُلِّ عِشْرِينَ))، قال: قلت: يا نبي الله! إني أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قال: ((فاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعٍ، وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ))، رواه مسلم كتاب الصيام، باب: التَّهَيُّ عن صوم الدَّهْرِ ... ، (318/2)، ح (182).

⁶¹ (رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: اغْتِباطُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ ح (5026).

⁶² (رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: اسْتِذْكارُ الْقُرْآنِ وَتَعَاهُدِهِ ح (5033)، ورواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب: فَضائلُ الْقُرْآنِ، ح (791).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن (64).

وقال أبو عبد الرحمن السلمي (عبد الله بن حبيب): حدّثنا الذين كانوا يُقرئوننا: أنهم كانوا يستقرؤون من النبي صلى الله عليه وآله، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً (65).

4- تعلمه وتعليمه:

عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)) (66).

فينبغي أن يحرص المسلم على تعلمه وإتقان قراءته، ويجتهد في ذلك، فمن غير اللائق لمسلم له سنوات طويّلة وهو يدرّس ويتعلم، ثم إذا قرأ القرآن فإذا به لا يُقيم حروفه وكلماته، وليس حاله كحال من يُعَدَّر لِضَعْفِ تَعْلِيمِهِ.

ومن وسائل تعلمه وإتقانه: قراءته على أحد المقرئين، وكثرة الاستماع إليهم، واستشعار أنه كلام الخالق جلّ وعلا، وغير ذلك.

5- تدبّره وتفهمه، والخشوع والبكاء عند قراءته:

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ [محمد: 24]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر: 17]، وقال سبحانه: ﴿ وَيَحْرُونَ لِلاذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: 109].

فالأولى أن يقرأ على تمهّل وتفهم، فإنّ القرآن كتاب هداية، وكيف يهتدي به من لا يفهمه، وإن أشكل عليه شيء رجع لتفسيره، وليجمع همته عند القراءة حتى يستحضر ذلك بقلبه، ويتأمل ما فيه من آيات التهديد والوعيد، والرجاء والرّحمة، وأحوال الماضيين، وغير ذلك.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: قال لي النبي صلى الله عليه وآله: ((اقرأ علي))، قلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: ((نعم))، فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾

⁶³ (رواد مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب: جامع صلاة الليل (513/1)، رقم (746).

⁶⁴ (رواد الطبراني، في مقدّمة التفسير (80/1)، وقال أحمد شاكر عن إسناده: " صحيح "

⁶⁵ (تفسير الطبري (80/1)، وصحّحه أحمد شاكر، وانظر: سير أعلام النبلاء (269/4)، وطبقات ابن سعد (172/6).

⁶⁶ (رواد البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه ح (5027).

فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿ [النساء: 41]، قال: ((حَسْبُكَ الْآنَ)) فَالْتَفَتَ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ (67).

6- الإِنْصَاتُ عِنْدَ سَمَاعِهِ:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: 204]. والآية تُدَلُّ بِمَعْمُومِهَا عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ الْاسْتِمَاعِ لِلْقُرْآنِ إِذَا تُلِّيَ، وَالْإِنْصَاتِ، وَهُوَ: السُّكُوتُ عِنْدَ الْاسْتِمَاعِ.

7- التِّزَامُ الْأَدَبِيُّ مَعَهُ:

فَلَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ، وَلَا يَقْرَأُهُ مَنْ عَلَيْهِ حَدَثٌ أَكْبَرٌ حَتَّى يَغْتَسِلَ، وَلَا يُهَانَ فِي حَمْلِهِ وَوَضْعِهِ، وَإِذَا حَمَلَهُ أَوْ نَاولَهُ شَخْصاً فَيَبِيْدُهُ الْيُمْنَى، وَلَا يَرْمِيهِ، وَيَحْفَظُ عَلَيْهِ وَلَا يَمْزِقُهُ، أَوْ يَكْتُبُ عَلَيْهِ مَا لَا حَاجَةَ لَهُ بِهِ، وَإِذَا تَمَزَّقَ فَلَا يَجُوزُ رَمْيُهُ بِلِ يَحْرِقُهُ وَيَدْفِنُهُ فِي مَوْضِعٍ طَيِّبٍ. وَيَجْعَلُهُ أَعْلَى مِنْ غَيْرِهِ، وَلَا يَتَكَبَّرُ عَلَيْهِ، وَلَا يَجْلِسُ عَلَى شَيْءٍ فِيهِ مُصْحَفٌ كَالْحَقِيبَةِ وَالْمَكْتُبِ، كُلُّ هَذَا احْتِرَاماً لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالتِّزَاماً لِلْأَدَبِ مَعَهُ.

الْأَسْئَلَةُ:

- س1: اذْكَرْ ثَلَاثاً مِنْ خِصَائِصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مَعَ ذِكْرِ الدَّلِيلِ لِمَا تَقُولُ.
- س2: الْقُرْآنُ مُعْجِزَةٌ بَاقِيَةٌ لِلْأَجْيَالِ، دَلِّلْ عَلَى ذَلِكَ.
- س3: اذْكَرْ ثَلَاثَةً مِنَ الْأَسْبَابِ الدَّاعِيَةِ فِي نَظَرِكَ إِلَى ضَعْفِ بَعْضِ الْمُتَعَلِّمِينَ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَكَيْفَ تُعَالِجُ؟
- س4: اذْكَرْ ثَلَاثاً مِنَ الْوَسَائِلِ الْمَعِينَةِ عَلَى تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؟

⁶⁷ (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي مَوَاضِعَ، مِنْهَا فِي: كِتَابِ فِضَائِلِ الْقُرْآنِ، ح (5050)، وَمُسْلِمَ، كِتَابِ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ، بَابِ: فَضْلِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ، ح (800).)

صُورٌ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

أَهْمِيَّةٌ دِرَاسَةٌ سِيرَتِهِمْ:

إن في تدارُسنا حياة أصحاب محمد ﷺ فوائد جليلة ينبغي أن لا نُغفل عنها حينما نقرأ سيرتهم، وتدارس حياتهم، فمنها: الاقتداء بهم، وازدياد الإيمان بذكرهم، وزيادة محبتهم في القلوب، فهي من الإيمان، كما قال ﷺ: ((حُبُّ الْأَنْصَارِ آيَةُ الْإِيمَانِ، وَبُغْضُهُمْ آيَةُ النِّفَاقِ))⁽⁶⁸⁾، وكما قال: ((لا يُحِبُّهُمْ إِلَّا الْمُؤْمِنُ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ))⁽⁶⁹⁾.

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: " مَنْ كَانَ مُسْتَنَّاً فَلَيْسَتْ بِنِجْمٍ قَدِ مَاتَ، أَوْلَيْكَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَبْرَهَا قُلُوباً، وَأَعَمَّقَهَا عِلْماً، وَأَقْلَهَا تَكْلِفاً، قَوْمَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَنَقَلَ دِينَهُ، فَتَشَبَّهُوا بِأَخْلَاقِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ، فَهَمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ وَاللَّهُ رَبُّ الْكَعْبَةِ " ⁽⁷⁰⁾.

وفي قراءة سيرهم وأخبارهم أنس وسلوى عن قراءة ما لا يُفيد، كان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يُكثِرُ الْجُلُوسَ فِي بَيْتِهِ، فَقِيلَ لَهُ: أَلَا تَسْتَوْحِشُ؟! فَقَالَ: كَيْفَ أَسْتَوْحِشُ وَأَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ؟! ⁽⁷¹⁾، وغير ذلك من العبر والفوائد.

صُورٌ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

1- عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَزَلَ عَلَيْهِ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السُّفْلِ، وَأَبُو دَاوُدَ فِي الْعُلُوِّ، فَانْتَبَهَ أَبُو أَيُوبَ لَيْلَةً، فَقَالَ: نَمَشِي فَوْقَ رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟! فَتَنَحَّوْا، فَبَاتُوا فِي جَانِبِ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((السُّفْلُ أَرْفَقُ))، فَقَالَ: لَا أَعْلُو سَقِيمَةً أَنْتَ تَحْتَهَا، فَتَحَوَّلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْعُلُوِّ وَأَبُو أَيُوبَ فِي السُّفْلِ، وَكَانَ يَصْنَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ طَعَاماً، فِإِذَا جِيءَ بِهِ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ، فَيَتَّبَعُ مَوْضِعَ أَصَابِعِهِ ⁽⁷²⁾.

⁶⁸ (رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: علامة الإيمان حُبُّ الْأَنْصَارِ (ص 17)، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: حُبُّ الْأَنْصَارِ

(74).

⁶⁹ (رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: حُبُّ الْأَنْصَارِ ح (75)).

⁷⁰ (حلية الأولياء (1/305)).

⁷¹ (سير أعلام النبلاء (8/239)).

⁷² (رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب: إباحة أكل الثوم (3/1623)، ح (171)).

2- ذَكَرَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عَمَّهُ أَنَسَ بْنَ النَّضْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ قَدْ شَقَّ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ غَزْوَةَ بَدْرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ قَالَ: وَإِنِّي أَرَانِي اللَّهَ مَشْهَدًا فِيمَا بَعْدُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُرِينَ اللَّهَ مَا أَصْنَعُ، قَالَ: فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَهَزَمَ النَّاسُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعْتُ هَؤُلَاءِ (يعني المسلمين)، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَتَقَدَّمَ بِسَيْفِهِ، فَلَقِيَ سَعْدَ بْنَ مَعَاذٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ يَا سَعْدُ؟ إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ، فَمَضَى فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ، فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بَضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ، وَطَعْنَةٍ، وَرَمِيَةٍ، قَالَ أَنَسُ: فَقَالَتْ عَمَّتِي الرَّبِيعُ بِنْتُ النَّضْرِ: فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بِبَنَانِهِ (73).

3- وَخَرَجَ حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِدَّتَهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا، خَرَجُوا لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، حَتَّى إِذَا وَصَلُوا إِلَى (بئر معونة) تَقَدَّمَ ثَلَاثَةَ مِنْ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فِيهِمْ حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ، ثُمَّ سَبَقَ صَاحِبِيهِ، وَقَالَ لَهَا: كُونَا قَرِيبًا حَتَّى آتِيَهُمْ، فَإِنِ أَمْنُونِي كُنْتُمْ قَرِيبًا، وَإِنِ قَتَلُونِي أَتَيْتُمْ أَصْحَابَكُمْ، فَأَتَاهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: أَتُؤْمِنُونِي أُبَلِّغُ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وَجَعَلَ يَحْدُثُهُمْ، وَأَوْمَأُوا إِلَى رَجُلٍ فَأَتَاهُ مِنْ خَلْفِهِ فَطَعَنَهُ حَتَّى أَنْفَذَهُ بِالرُّمْحِ، فَأَخَذَ حَرَامُ الدَّمَ وَنَضَحَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ، وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فُرْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ (74).

4- حَدَّثَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَلَفْتُ أُمَّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ، وَقَالَتْ: رَعِمْتُ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمُّكَ، وَأَنَا أَمْرُكَ بِهَذَا، قَالَ: مَكَّنْتُ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنُهَا يُقَالُ لَهُ عَمَّارٌ فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ (75) [العنكبوت: 8].

وفي رواية: فَلَمَّا رَأَيْتَ ذَلِكَ قُلْتَ: يَا أُمَّهُ، تَعَلَّمِينَ وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ لَكَ مِائَةٌ نَفْسٍ فَخَرَجْتَ نَفْسًا نَفْسًا مَا تَرَكْتُ دِينِي هَذَا لِشَيْءٍ، فَإِنِ شِئْتَ فَكُلِّي، وَإِنِ شِئْتَ لَا تَأْكُلِي، فَأَكَلْتَ (76).

⁷³ (مجموع من روايتين للبخاري، كتاب المغازي، باب: غزوة أحد، (4048)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد، ح (1903).

⁷⁴ (مجموع أكثر من رواية في البخاري، كتاب المغازي، باب: غزوة الرجيع وبئر معونة ح (4090، 4091، 4092)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد.

⁷⁵ (والحديث رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل سعد، ح (1748).

⁷⁶ (عزه الحافظ ابن كثير للطبراني في كتاب العشرة (تفسير ابن كثير، عند الآية 14 من سورة لقمان).

5- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأصحابه: تمنّوا، فقال أحدُهم: أتمنّى أن يكون مِلاء هذا البيت دَرَاهِمَ فأنفِقها في سبيلِ الله، فقال: تمنّوا، فقال آخر: أتمنّى أن يكون مِلاء هذا البيت ذهباً فأنفِقها في سبيلِ الله، قال: تمنّوا، قال آخر: أتمنّى أن يكون مِلاء هذا البيت جَوْهراً أو نحوَه فأنفِقَه في سبيلِ الله، فقال عمر: تمنّوا، فقالوا: ما تمنّينا بعد هذا، قال عمر: لكِنِّي أتمنّى أن يكون مِلاء هذا البيت رجلاً مثل أبي عُبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، فأستعملهم في طاعةِ الله ⁽⁷⁷⁾.

الأسئلة:

- س1: لِمَ كان عبدُ الله بن المبارك رحمه الله لا يَسْتَوْحِش إِذَا جَلَسَ وَحَدَهُ ؟
- س2: ادكُر ما يمكنك استِفادةً مِنْ مَوْقِفِ أَبِي أَيُوبِ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه عندما أسكن النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآله في بيته.
- س3: ((إني أجد رِيحَ الجنَّةِ دون أحد))، مَنْ قائل هذه العبارة ؟ وما المناسبة ؟ وعلام يدلُّ قوله لها ؟
- س4: ((فُزْتُ وَرَبَّ الكَعْبَةِ)) ما الفوز الحقيقي الذي تُفيدُه هذه الكَلِمَة ؟

⁷⁷ (التاريخ الصَّغِير للبخاري (79/1)، والمستدرک مختصراً (262/3)، وسير أعلام النبلاء (14/1).

الحِرْصُ عَلَى الْوَقْتِ وَحُسْنُ الاسْتِفَادَةِ مِنْهُ

أَهْمِيَّةُ الْوَقْتِ:

إِنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُقْسِمَ بِمَا يَشَاءُ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَأَنَّهُ لَا يُقْسِمُ إِلَّا بِعَظِيمٍ، وَكَلَّمَا تَكَرَّرَ الْقَسَمُ بِشَيْءٍ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَهْمِيَّتِهِ، وَلَوْ تَدَبَّرْنَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ (78)، وَقَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَأْتِي﴾ (79)، وَقَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالضُّحَى﴾ (80) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ (80)، لَوَجَدْنَا أَنَّهُمَا أَجْزَاءُ الْوَقْتِ، ثُمَّ تَدَبَّرْ أَيْضاً قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ (81)، تُدْرِكُ أَنَّهُ أَقْسَمَ بِالزَّمَانِ كُلِّهِ، وَمَا هَذَا إِلَّا لِأَهْمِيَّتِهِ، وَهَذِهِ الْأَهْمِيَّةُ مُصَدِّرُهَا أَنَّ الْوَقْتِ هُوَ الزَّمَانُ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ، وَهَذِهِ الْأَعْمَالُ (خَيْرُهَا وَشَرُّهَا) هِيَ الَّتِي يُقَدِّمُهَا الْبَشَرُ لِيُنَالُوا بِهَا جِزَاءَ الْخَالِقِ.

وَإِذَا عَرَفْنَا هَذَا تَبَيَّنَ لَنَا أَهْمِيَّةُ الْوَقْتِ، فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ حَيَاتِنَا عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ؛ لَكِي نَقْدِمَ فِيهَا مَا يُوَصِّلُنَا إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي لِأَجْلِهَا خُلِقْنَا، فَالْوَقْتُ هُوَ الْحَيَاةُ.

نِعْمَةُ الْوَقْتِ:

إِنَّ الْوَقْتِ نِعْمَةٌ وَأَمَانَةٌ يُضَيِّعُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، يُضَيِّعُونَهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَعَلَى أُمَّتِهِمْ، قَالَ ﷺ: ((نِعْمَتَانِ مَغْبُورٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ)) (82).

خَاصِيَّتُهُ:

لِلْوَقْتِ خَاصِيَّةٌ، وَهِيَ أَنَّهُ إِذَا ذَهَبَ لَمْ يَرْجِعْ، وَهَذَا يَدْفَعُنَا لِاسْتِغْلَالِ كُلِّ لِحْظَةٍ مِنْهُ، كَانَ ابْنُ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: ((إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)) (83).

⁷⁸ (آية 1 من سورة الفجر.

⁷⁹ (آية 1 - 2 من سورة الليل.

⁸⁰ (آية 1-2 من سورة الضحى.

⁸¹ (آية 1 من سورة العصر.

⁸² (رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب: ما جاء في الرقاق (229/11)، ح (6412).

⁸³ (رواه البخاري موقوفاً في الرقاق، باب: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: ((كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ))، رقم (6416).

من مظاهر الفراغ:

إنَّ مَنْ تَرَاهُ يَجُولُ فِي الشَّوَارِعِ السَّاعَاتِ الطُّوَالَ بِلا هَدَفٍ، مُضَيِّعٍ لَوَقْتِهِ، وَمَنْ تَرَاهُ يَجْلِسُ السَّاعَاتِ الطُّوَالَ يَرْقُبُ مَا لا يَعودُ عَلَيْهِ بِنَفْعٍ فِي دِينِهِ وَلا فِي دُنْيَاهُ، مُضَيِّعٍ لَوَقْتِهِ، وَكُلٌّ مَا اشْتَغَلَ بِمَا لا يُرْضِي اللهُ فَقَدْ ضَيَّعَ وَقْتَهُ.

التَّحَسُّرُ عَلَى فَوَاتِ الْأَوْقَاتِ:

إِذَا تَنَبَّهَ الْعَاقِلُ، وَتَذَكَّرَ مَا مَضَى مِنْ أَيَّامِ عُمُرِهِ، فَإِنَّهُ يَنْدَمُ عَلَى السَّاعَاتِ الَّتِي قَضَاهَا فِي اللَّهْوِ وَالْبَطَالَةِ، وَأَشَدَّ سَاعَاتِ النَّدَمِ حِينَ يُقَابِلُ الْمَرْءَ بِصَحِيفَةِ عَمَلِهِ، فَيَرَى فِيهَا الْحِزْبِيَّ وَالْعَارَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: 23-24]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتَنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ ﴿١﴾﴾ [الزُّمَرِ: 56].

فَالْعَاقِلُ مَنْ نَدِمَ الْيَوْمَ حَيْثُ يَنْفَعُهُ النَّدَمُ، وَاسْتَقْبَلَ لِحْظَاتِ عُمُرِهِ، فَعَمَّرَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْيَوْمَ الَّذِي لا يَنْفَعُ فِيهِ النَّدَمُ.

من أسباب تضييع الوقت:

1- عَدَمُ وَضُوحِ الْغَايَةِ:

إِنَّ عَدَمَ وَضُوحِ الْغَايَةِ، أَوْ عَدَمَ وُجُودِهَا، أَوْ عَدَمَ التَّفَكِيرِ فِيهَا، أَوْ عَدَمَ الْإِنْشِغَالِ بِهَا وَالسَّعْيِ لِأَجْلِهَا هُوَ أَعْظَمُ سَبَبٍ لِضَيَاعِ الْأَوْقَاتِ.

فَمَنْ حَدَّدَ هَدَفًا يَسْعَى إِلَيْهِ أَيًّا كَانَ الْهَدَفُ فَإِنَّهُ لَنْ يُضَيِّعَ وَقْتَهُ، فَالطَّالِبُ الَّذِي يُرِيدُ التَّفَوُّقَ لا يُكْثِرُ مِنَ اللَّهْوِ، وَمَنْ يُرِيدُ الزَّوْاجَ يَسْعَى لِتَحْصِيلِهِ بِأَسْبَابِهِ، وَمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ تاجِرًا فَإِنَّهُ يَسْعَى لِتَحْصِيلِ ذَلِكَ، وَهَكَذَا، فَحَرِيٌّ بِمَنْ غَايَتَهُ الْوُصُولُ إِلَى الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا أَنْ يَسْعَى جَادًّا لِتَحْصِيلِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: 21].

وَفِي الْحَدِيثِ: ((مَنْ خَافَ أَذْلَجَ، وَمَنْ أَذْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ)) (84).

⁸⁴ (رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب (18) ح (2450)، وقال: "حديث حسن غريب"، ورواه الحاكم (307/4)، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

وكلّ هَدَفٍ نَبِيلٌ يسعى المؤمن لتَحْصِيلِهِ فِيهِ إِصْلَاحِ دِينِهِ، أَوْ دُنْيَا، أَوْ أُمَّتِهِ، إِذَا أَحْلَصَ فِيهِ النِّيَّةَ وَوَافَقَ فِيهِ الطَّرِيقَةَ الشَّرْعِيَّةَ فَإِنَّهُ طَرِيقٌ لِتَحْصِيلِ تِلْكَ الْغَايَةِ.

2- مُرَافَقَةُ الزُّمَلَاءِ غَيْرِ الْجَادِّينَ الَّذِينَ يُضَيِّعُونَ الْأَوْقَاتَ سُدىً، وَلَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْ عُمرِهِمْ وَشَبَابِهِمْ.

3- الفَرَاغُ، وَعَدَمُ مَعْرِفَةِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَشْغَلَ بِهِ وَقْتَهُ.

4- كَثْرَةُ الْمَلْهِياتِ وَالْمَغْرِبَاتِ فَإِذَا انْتَشَعَلَ بِهَا الْمُؤْمِنُ ضَاعَ وَقْتُهُ وَخَسِرَ عُمرَهُ.

5- قِلَّةُ الْأَعْوَانِ مِنَ الْأَهْلِ وَالْأَصْحَابِ عَلَى اسْتِغْلَالِ الْوَقْتِ.

اسْتِغْلَالُ الْوَقْتِ:

يَنْبَغِي الْعِنَايَةَ بِالْوَقْتِ وَمِلْئَهُ بِالْعَمَلِ حَتَّى لَا يُوجَدَ فَرَاغٌ، فَالْفَرَاغُ دَاعٍ إِلَى الْفَسَادِ، وَالنَّفْسُ إِنْ لَمْ تُشْغَلْهَا بِالطَّاعَةِ شَعَلَتْكَ بِالْمَعْصِيَةِ.

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيِّ مَفْسَدَةٍ.

إِنَّ وَضُوحَ الْهَدَفِ، وَمَعْرِفَةَ أَهْمِيَّةِ الْوَقْتِ، سَبَبٌ لِاسْتِغْلَالِهِ، فَعَلَيْكَ بِتَرْتِيبِ وَقْتِكَ وَتَنْظِيمِهِ وَاسْتِغْلَالِهِ بِأَنْ تَجْعَلَ لَكَ جَدُولًا يَوْمِيًّا وَأُسْبُوعِيًّا وَحَالَالِ الْإِجَازَاتِ لِكَيْ تَسْتَعِزَّ بِوَقْتِكَ عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ.

وَصُورُ اسْتِغْلَالِ الْوَقْتِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، وَمِنْهَا: الْحَافِظَةُ عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي الْجَمَاعَةِ، وَالتَّبَكُّيرُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَذِكْرُ اللَّهِ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، وَخِدْمَةُ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَّةُ الْأَرْحَامِ، وَالزِّيَارَاتُ النَّافِعَةَ، وَعِيَادَةُ الْمَرْضَى، وَالتَّعَلُّمُ وَالتَّعْلِيمُ، وَالدَّعْوَةُ إِلَى الْخَيْرِ، وَالتَّفَكُّرُ فِي خَلْقِ اللَّهِ، وَالتَّفَكُّيرُ فِي مَصَالِحِ نَفْسِكَ، وَمَصَالِحِ وَطَنِكَ وَأُمَّتِكَ، وَالْعَمَلُ النَّافِعُ الْمُنْتَجِجُ، وَكِتَابَةُ الْبُحُوثِ، وَحُضُورُ حَلَقِ الْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ، وَالِاسْتِمَاعُ لِكُلِّ نَافِعٍ وَمُفِيدٍ، وَمُسَاعَدَةُ الْمُحْتَاجِينَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ كَثِيرٌ، بَلْ إِنَّ انْتِشَاكَ بِالْمَبَاحِ وَلَوْ كَانَ نَوْمًا أَوْ اضْطِجَاعًا بِنِيَّةِ تَرْوِيحِ النَّفْسِ لَتَسْتَعِيدَ نَشَاطَهَا وَتَقْوَى عَلَى الطَّاعَةِ مِنْ اسْتِغْلَالِ الْوَقْتِ.

قال معاذ رضي الله عنه: أما أنا فأنام وأقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي (85).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: معناه أنه يطلب الثواب في الراحة، كما يطلبه في التعب؛ لأنَّ الرِّاحَةَ إِذَا قُصِدَ بِهَا الْإِعَانَةُ عَلَى الْعِبَادَةِ حَصَلَ بِهَا الثَّوَابُ (86).

والمراد بِقَوْمِيَّتِهِ هُنَا: قِيَامَهُ اللَّيْلَ وَصَلَاتِهِ.

صُورٌ مِنَ الْحِرْصِ عَلَى الْاسْتِفَادَةِ مِنَ الْوَقْتِ:

⁸⁵ (رواه البخاري، كتاب المغازي، باب: بعثت أبي موسى ومعاذ إلى اليمن (60/8)، (ح 4341، و4342، و4344، و4345)، ومسلم، كتاب الإمامة، باب: النهي عن طلب الإمامة والحِرْصِ عَلَيْهَا (1456/3)، برقم (1733).

⁸⁶ (فتح الباري (62/8) بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ.

1- قال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي عن حاله مع أبيه (أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي): ربما كان يأكل فأقرأ عليه ، ويمشي وأقرأ عليه، ويدخل الحلاء وأقرأ عليه، ويدخل البيت لطلب شيءٍ وأقرأ عليه (87).

2- قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: كنا بمصر سبعة أشهر، لم نأكل فيها مرقّة، كان نهازنا مُقسّم لمجلس الشيوخ، وبالليل النسخ والمقابلة، قال: فَأَتَيْنَا يَوْمًا أَنَا وَرَفِيقٌ لِي شَيْخًا، فقالوا: هو عليل، فرأينا في طريقنا سمكاً أعجبنا، فاشتريناه، فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس، فلم يمكننا إصلاحه، ومضينا إلى المجلس، فلم نزل حتى أتى عليه ثلاثة أيام، وكاد أن يتغير، فأكلناه نيماً، لم يكن لنا فراغ أن نُعْطِيَهُ مَنْ يَشْوِيهِ، ثم قال: لا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجَسَدِ (88).

الأسئلة:

- س1: (هَيَّا نُضَيِّعِ الْوَقْتَ) بَيِّنْ رَأْيَكَ فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ، مَعَ التَّعْلِيلِ ؟
- س2: لماذا كان الوقت مهماً ؟
- س3: ((الْوَقْتُ هُوَ الْحَيَاةُ)) ما معنى هذه العبارة ؟
- س4: اذكر خمس صورٍ من مظاهر ضياع الوقت سوى ما في الكتاب.
- س5: متى يُثَابِ المرء المسلم على الرَّاحَةِ والاستجمام ؟ اذكر ثلاث صورٍ على ذلك من إنشائك.

⁸⁷ (سير أعلام النبلاء (251/13).

⁸⁸ (سير أعلام النبلاء (266/13).

الصِّدْق

تعريف الصِّدْق:

الصِّدْق: هو مُطَابَقَةُ الْخَبَرِ لِلْوَاقِعِ، وَضِدَّهُ الْكُذِبُ، وَهُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ خِلَافَ مَا هُوَ عَلَيْهِ.

مكانة الصِّدْق:

الصِّدْقُ مِنْ أَعْظَمِ خِصَالِ الْخَيْرِ، وَهُوَ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي جَاءَ الشَّرْعُ بِتَأْكِيدِهَا وَالْأَمْرُ بِهَا. فَهُوَ خُلُقٌ رَفِيعٌ يَتِمَثَّلُهُ الْأَفْضَلُ مِنَ النَّاسِ، وَيَتَنَكَّبُ عَنْهُ الْأَرَاذِلُ، وَلِذَلِكَ كَانَ وَصْفًا مُلَازِمًا لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَضِدَّهُ مَا كَانَ مُلَازِمًا لِلْمُنَافِقِينَ وَأَشْبَاهِهِمْ.

الأمر بالصِّدْقِ، والنَّهْيُ عَنِ الْكُذِبِ:

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التَّوْبَةُ: 119].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: ((عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا)) (89).

أقسام الصِّدْقِ:

(أ) الصِّدْقُ بِالْقَلْبِ، فَالْمُؤْمِنُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا بِقَلْبِهِ، فَلَا يَخَالِفُ ظَاهِرُهُ بَاطِنَهُ.

(ب) الصِّدْقُ بِالْأَفْعَالِ، سِوَاءِ الَّتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلْقِ، فَلَا يَغِشُّ، وَلَا يَخْلِفُ إِذَا وَعَدَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الْأَحْزَابُ: 23].

(ج) الصِّدْقُ بِالْأَقْوَالِ، فَلَا تَخَالِفُ الْوَاقِعَ، وَلَا تَخَالِفُ أَعْمَالَ صَاحِبِهَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصِّفِّ: 2-3].

من ثمرات الصِّدْقِ:

1- الصِّدْقُ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ.

⁸⁹ رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (الفتح 507/10)، رقم

(6094)، ومسلم كتاب البر، باب: فُتِحَ الْكُذِبُ (2012/4)، رقم (2607)، وهذا لفظه.

2- الصّادِقُ محبوبٌ عند الله، وعند النَّاسِ.

3- الصّدقُ يُنجي صاحِبَه من المهالكِ في الدُّنيا والآخِرة.

الكذبُ وحُكْمُه:

الكذبُ: الإخبار عن الشَّيء خلاف ما هو عليه، وقد يكون في الماضي، كأن يقول: فعلت، وهو لم يفعل، وقد يكون في المستقبل، كأن يقول: سأفعل، وليس في نِيَّته أن يفعل.
والكذبُ لا يجوزُ في جدِّ ولا هزلٍ، وليس في الكذبِ شيءٌ أبيضٌ مُباح، وشيءٌ أسودٌ حرام، كما يظنُّ البعض، بل كلُّه خُلُقٌ مذمومٌ، إلّا ما دعت إليه الضَّرورة، كالكذبِ لإتقادِ مَعْصومِ الدِّم من قاتِل، أو لِتَحْصِينِ مالٍ من غاصِبٍ، ونحو ذلك (90).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ((لا يَصْلُحُ الكَذِبُ في هَزْلٍ ولا جِدِّ)) (91).

ويُعْظَمُ الكَذِبُ إذا ترَتَّبَ عليه ضَرَرٌ أو فَسادٌ، ويعتبر اعتياد الكذبِ من كِبائرِ الذُّنوبِ.

من أنواع الكذبِ:

1- الكذبُ على الله تعالى، وذلك مثل أن يتكلم في دين الله بغير علم، أو يقول: قال الله كذا، ويذكر أشياء لم يقلها الله تعالى، الله يعلمُ أي فعلت كذا، وهو لم يفعل، ونحو ذلك، وهذا من أعظم الكذبِ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: 33]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل: 116].

2- الكذبُ على رسولِ الله صلى الله عليه وآله، وهو أيضاً من أعظم أنواع الكذبِ، قال صلى الله عليه وآله: ((إنَّ كَذِباً عَلَيَّ ليس ككذبِ علي أحد، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَّبِعُوا مَتَعَدَهُ مِنَ النَّارِ)) (92).

3- شهادَةُ الزُّورِ، وهي من أشد أنواع الكذبِ، والواجب على المرء ألا يشهد إلا بشيء يعلمه يقيناً، ولا يتردّد في ردّ مَنْ يطلّب منه الشَّهادة في شيء لا يعلمه ومما يدخل في ذلك تساهل النَّاسِ اليوم بالشَّهادة في المحاكم، وكتابة العدل على ما لا يعلمون.

⁹⁰ يُنظر في المواضع التي يجوز فيها الكذب: رياض الصّالحين، باب: بيان ما يجوز من الكذب، وكتاب الأذكار، للتَّوْبِي (ص 324)، في باب: النهي عن الكذب وأقسامه، وغذاء الألباب للسِّفاري (1/134)، وغيرها.

⁹¹ رواه البخاري في كتاب الأدب المفرد، رقم (387)، والطَّبْراني في الكبير رقم (8525)، وابن أبي الدنيا في دَم الكذب، رقم (79).

⁹² رواه مسلم في المقدمة (10/1)، حديث رقم (4)، عن المغيرة بن شعبة، والجزء الأخير من الحديث مُتواتر.

- 4- اليمين العَمُوس، وهي: أن يحلفَ على شيءٍ مَضَى أَنَّهُ حَصَلَ، أو لم يحصل وهو كاذب في ذلك.
5- اختلاق الفَصَص والأخبار التي لا أصل لها؛ لإضحاك الآخرين، أو لملء الفراغ، وفي الصّدق غُنْيَة عن الحرام.

- 6- أن يقول: رأيت كذا، ولم يره، قال ﷺ: ((أَفَرَى الْفِرَى أَنْ يُرَى الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ))⁽⁹³⁾.
7- أن يزعم أنه رأى في المنام كذا، وهو لم يره، قال ﷺ: ((مَنْ تَحَلَّمَ بِجِلْمٍ لَمْ يَرَهُ، كُفِّ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ))⁽⁹⁴⁾.

وهذا تعذيب له على كذبه، وفي رواية للإمام أحمد: ((عُدُّبُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَعْقِدَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَيْسَ عَاقِدًا))⁽⁹⁵⁾.

عُقُوبَةُ الْكَاذِبِ:

مَّا وَرَدَ فِي ذَلِكَ: حَدِيثُ سَمْرَةَ بْنِ جَنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ: ((إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّمَا قَالَا لِي: انطَلِقْ...، قَالَ:)) (فَانطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِكَلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقْمِي وَجْهَهُ فَيُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرَغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى.

قَالَتْ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا هَذَا؟ .. إِلَى أَنْ قَالَ: قَالَا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْرِجُكَ ... وَأَمَا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ إِلَيْهِ يُشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ يَعْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ))⁽⁹⁶⁾.

وقوله: (يُشْرِشِرُ) أي: يُقْطَعُ.

مِنْ مَسَاوِي الْكَذِبِ:

1- الْكَذِبُ مِنْ حِصَالِ الْمُنَافِقِينَ.

⁹³ (رواه البخاري، عن ابن عمر، كتاب التَّعبير، باب: مَنْ كَذَّبَ فِي حُلْمِهِ (الفتح 427/12)، رقم (7043)، ورواه أيضاً من حَدِيثِ وَائِلَةَ فِي كِتَابِ الْمُنَاقِبِ، بَابِ رَقْمِ (5) (الفتح 539/6)، رقم (3059)، قَالَ النَّوَوِيُّ فِي رِيَاضِ الصَّالِحِينَ، بَابِ: تَحْرِيمِ الْكَذِبِ: مَعْنَاهُ: يَقُولُ: رَأَيْتَ، فِيمَا لَمْ يَرَهُ، وَانظُرْ: دَلِيلُ الْفَالِحِينَ (36/8)، وَجَاءَ فِي بَعْضِ رَوَايَاتِ الْحَدِيثِ مَا يَقْتَدِهِ بِرُؤْيَا الْمَنَامِ، انظُرْ: (فتح الباري، في شرح الْحَدِيثَيْنِ).

⁹⁴ (رواه البخاري، الموضوع السابق، رقم (7042).

⁹⁵ (المسند (216/1).

⁹⁶ (رواه البخاري، كتاب التَّعبير، باب: تَعْبِيرُ الرُّؤْيَا بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، (الفتح 438/12)، رقم (7047).

2- مَنْ تَكَرَّرَ مِنْهُ الْكَذِبُ حَتَّى صَارَ عَادَةً يُكْتَبُ عِنْدَ اللَّهِ فِي صَحَائِفِ الْكَذَّابِينَ، وَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ وَأَشْنَعِ مَا يَكُونُ، فَلَمْرَى لَا يَرْضَى أَنْ يُصَنَّفَ مِنْ قِبَلِ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ فِي قَائِمَةِ الْكَذَّابِينَ، فَكَيْفَ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَ خَالِقِهِ كَذَلِكَ؟!

3- الْكَاذِبُ مَرْدُودُ الشَّهَادَةِ.

4- الْكَاذِبُ قَدْ يُرَدِّ صِدْقَهُ؛ لِأَنَّ النَّاسَ لَا يَثِقُونَ بِكَلَامِهِ، قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ((أَوَّلُ عُقُوبَةِ الْكَاذِبِ مِنْ كَذِبِهِ: أَنَّهُ يُرَدِّ عَلَيْهِ صِدْقُهُ)) (97).

بعض الوسائل المُعِينَةِ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنَ الْكَذِبِ:

1- الاستِيعَانَةُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَدُعَاؤُهُ أَنْ يَخْلِّصَهُ مِنْ هَذَا الدَّاءِ الْخَطِيرِ.

2- اسْتِشْعَارُهُ سُوءِ خَاتِمَةِ الْكَذِبِ، بَأَن يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ فِي صَحَائِفِ الْكَذَّابِينَ.

3- مُرَاقَبَةُ اللَّهِ، وَمُرَاقَبَةُ الْمَلَائِكَةِ، وَأَنَّهَا تَكْتُبُ عَلَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ.

4- مَعْرِفَتُهُ أَنَّ الْكَذِبَ قَدْ يُؤَدِّي بِهِ إِلَى أَلَّا تُقْبَلَ مِنْهُ جَمِيعُ أَقْوَالِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَأَنَّهُ يَسْقُطُ مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ.

5- تَصَوُّرُهُ أَنَّ النَّجَاةَ الْحَقِيقِيَّةَ فِي الصِّدْقِ، سِوَاءٍ فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ، وَإِنْ ظَهَرَ لَهُ بَادِي الْأَمْرِ أَنَّ النَّجَاةَ فِي الْكَذِبِ.

6- أَنْ يَتَحَنَّنَ مَا يَدْعُوهُ إِلَى الْكَذِبِ، وَمِنْ ذَلِكَ: فِعْلُ الْقَبِيحِ الَّذِي يَدْعُوهُ لِلْإِعْتِزَارِ كَاذِبًا، وَكَثْرَةُ الْمَوَاعِيدِ الَّتِي تَدْعُوهُ لِإِخْلَافِهِ، وَبِحَارَاةِ الْأَصْدِقَاءِ الْكَاذِبِينَ، أَوْ الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ إِلَى الْكَذِبِ، وَيُشَجِّعُونَ عَلَيْهِ.

الأسئلة:

س1: مَا أَقْسَامُ الصِّدْقِ؟ وَادْكُرْ ثَلَاثًا مِنْ ثَمَرَاتِهِ؟

س2: مَا الْكَذِبُ، وَهَلْ يُفَرِّقُ فِيهِ بَيْنَ الْجَادِّ وَالْهَازِلِ؟ مَعَ التَّوْضِيحِ؟

س3: ادْكُرْ ثَلَاثًا مِنْ مَسَاوِي الْكَذِبِ، ثُمَّ ادْكُرْ عُقُوبَتَهُ فِي الْآخِرَةِ.

س4: مَاذَا يَجِبُ عَلَيْكَ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ صَاحِبَكَ يُكْثِرُ الْكَذِبَ فِي أَقْوَالِهِ؟

⁹⁷ (رواه ابن أبي الدنيا في دَمِّ الْكَذِبِ، رَقْم (82)).

الطاعة

الاجتماع ضرورة، ولا بُدَّ فيه من إمارّة:

لقد جُبلَ النَّاسُ على حُبِّ الاجتماع، فالإنسانُ اجتماعيٌّ بِطَبْعِهِ⁽⁹⁸⁾، والنَّاسُ منذ القَدَمِ لا يَعِيشُونَ إِلَّا فِي جماعات، وكلّ جماعات إن لم يكن لها قائد يُنظِّمُ أمرها ويُطاع فيها، ويُسمَعُ أمره ونهيها، فإن اجتماعها يعود إلى فُرْقَةٍ، وإلّا إليها تَنَاحِرُ، وأنسها إلى وَحْشَةٍ، قال الشَّاعِرُ:

لا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لا سُرّاً لهم ولا سُرّاً إذا جُهِلَهم سادُوا.

فجاء الشَّرْعُ والنَّاسُ على ذلك، فَفَرَّرَ هذا الواقعَ ورَتَّبَ أمره، وَحوَّلَهُ مِنْ عَادَةٍ إلى دِينٍ، فقال تعالى

أَمِراً بِطَاعَةِ وِلاَةِ الأَمْرِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النِّسَاءُ: 59].

اتِّساع دائرة الإمارة:

وتتَّسع دائرة ذلك حتى تَشْمَلُ كلَّ مَنْ له وِلايَةٌ شَرِيعِيَّةٌ صَحِيحَةٌ، فإنَّ له حَقَّ الطَّاعَةِ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرْفُوعاً: ((مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِيعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي))⁽⁹⁹⁾.

ومن ذلك كلِّ ما له وِلايَةٌ صَحِيحَةٌ، كالوَزِيرِ فِي وِزارَتِهِ، والمُدِيرِ فِي إِدارَتِهِ، ونحو ذلك، فهؤلاء لا يَمَكِنُ أَنْ يَسِيرَ العَمَلُ المَنوطُ بِهِمْ إِلَّا بِإِعطائِهِم حَقَّ الطَّاعَةِ مَنْ تَحْتَ أَيديهِم.

وجماعة السَّفَرِ لا بُدَّ لها مِنْ أَميرٍ يُعْطِي حَقَّ الطَّاعَةِ، قال ﷺ: ((إِذا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ))⁽¹⁰⁰⁾.

وَيَمْتَدُّ ذلك، فَيَشْمَلُ وِليَّ الأُسْرَةِ وِراعيها، فإنَّ له حَقَّ الطَّاعَةِ، فعن ابنِ عَمْرِو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: ((كُلُّكُمْ راعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، وَالإمامُ راعٍ وَمَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ

⁹⁸ يُنظَرُ فِي هذا: مَقَدِّمَةُ ابنِ خَلدون، الكِتابُ الأوَّلُ، طَبْعَةُ العِمْرانِ، الفِصَلُ الأوَّلُ، المَقَدِّمَةُ الأوَّلَى: فِي أَنَّ الاجْتِماعَ الإِنسانِي ضروري، (ص 34).

⁹⁹ (رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب: قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، (111/13)، ح (7137)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأُمير في غير مَعْصِيَةٍ (3/1466)، ح (1835).

¹⁰⁰ (رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب: القَوْمُ يُسافِرُونَ وَيُؤمِّرُونَ أَحَدَهُمْ (2/42)، ح (2608، و2609).

راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته، والخدم في مال سيده راعٍ ومسؤول عن رعيته ((101)).

معنى الطاعة:

الطاعة: الانقياد، ومنه: المطيع والطائع لله؛ لأنه مُنقادٌ لأمره، وعكسه العاصي؛ لأنه مُستعصٍ غير مُنقادٍ.

أقسام الطاعة:

تَنقَسِمُ الطاعة في الجملة إلى قِسْمَيْنِ:

1- طاعة مُطلقة:

وهي الطاعة غير المشروطة.

وهذا النوع خاصٌّ بالله تعالى ورسوله ﷺ، فليس لأحدٍ كائناً من كان غير الله تعالى ورسوله ﷺ طاعة مُطلقةً.

خصائص الطاعة المُطلقة:

وهذه الطاعة تختص عن غيرها بخصائص، منها:

(أ) أنها طاعة مُستقلة بنفسها غير تابعة لغيرها، بخلاف طاعة غير الله ورسوله، فهي طاعة غير مُستقلة، بل هي تابعة لإطاعة الله ورسوله ﷺ، ولذلك ذكر الله تعالى في الآية السابقة الفعل (أطيعوا) مُتعلقاً بالله تعالى، ثم ذكر مُتعلقاً برسوله ﷺ، ولم يُكرِّره عند ذكر طاعة (أولي الأمر)، وذلك والله أعلم لأنه ليس لهم طاعة مُستقلة، بل هم تبع لإطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ.

(ب) سرعة الاستجابة، دون تردد؛ لأنه ليس في أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ إلا الخير والحكمة، فليس في شرع الله ما يُنافيها: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ الآية [المؤمنون: 115]، فليس العبث من فعل الله تعالى أبداً، وهذا من معنى الإيمان باسم الله تعالى: (الحكيم)، وصِفته: (الحكمة).

¹⁰¹ (رواه البخاري، كتاب الوصايا، باب: تأويل قوله تعالى: ﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّتِي يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ﴾، (377/5)، ح (2751)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب: فضيلة الأمير وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم (1459/3)، ح (1829).

وبهذا نَعْرِفُ أَنَّ تَنْفِيذَ الْمُسْلِمِ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى إِدْرَاكِهِ لِلْحِكْمَةِ، بَلِ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ الْمُبَادَرَةُ لِلِاسْتِحَابَةِ، وَلَا بِأَسَرِّ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَحَاوِلَ التَّعَرُّفَ عَلَى الْحِكْمَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَيَسْأَلُ عَنْهَا، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ إِدْرَاكَهَا فَلَيْسَ ذَلِكَ لِعَدَمِ وُجُودِهَا، بَلِ لِغُضُوبِ إِدْرَاكِهِ عَنْ مَعْرِفَتِهَا، وَلِذَلِكَ قَدْ يَعْرِفُهَا غَيْرُهُ، وَقَدْ يَعْرِفُهَا هُوَ بَعْدَ حِينٍ.

وَمِنْ أَدَلَّةِ هَذِهِ الْخَاصِيَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمُؤِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب: 36].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: 51].

(ج) أَنْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ الْهَدَايَةَ التَّامَّةَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور: 54].

2- طَاعَةٌ مُقَيَّدَةٌ:

وَهِيَ الطَّاعَةُ الْمَشْرُوعَةُ بِشُرُوطٍ، فَلَا تَجِبُ إِلَّا إِذَا وُجِدَتْ هَذِهِ الشُّرُوطُ، وَهَذِهِ الطَّاعَةُ هِيَ الطَّاعَةُ لِأَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ بِأَنْوَاعِهِمْ، مِنْ حَاكِمٍ، وَأَمِيرٍ، وَأَبٍ، وَمُدْرَسٍ، وَغَيْرِهِمْ.

شُرُوطُ وُجُوبِ الطَّاعَةِ الْمُقَيَّدَةِ مَا يَلِي:

(أ) أَلَّا تَكُونَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، بَلِ فِي الْمَعْرُوفِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ:

عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَعَزِبَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَمَّا جَمَعْتُمْ حَطَبًا وَأَوْقَدْتُمْ نَارًا، ثُمَّ دَخَلْتُمْ فِيهَا، فَجَمَعُوا حَطَبًا، فَأَوْقَدُوا نَارًا، فَلَمَّا هَمُّوا بِالْدُخُولِ، فَقَامُوا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا تَبِعْنَا النَّبِيَّ ﷺ فِرَارًا مِنَ النَّارِ، أَفَنَدْخُلُهَا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ خَمَدَتِ النَّارُ، وَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: ((لَوْ دَخَلُوا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ)) (102).

(ب) الْإِسْتِطَاعَةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التَّغَابُن: 16].

¹⁰² (رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةَ (122/13)، ح (7145)، ومسلم، كتاب

الإمارة، باب: وُجُوبُ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ (1469/3)، ح (1840).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا: ((فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ))⁽¹⁰³⁾.

ج) ألا يترتب على الطاعة ضررٌ للمأمور، فمن القواعد الشرعية المقررة أنّ الضرر يُزال، قال ﷺ: ((لا ضرر ولا ضرار))⁽¹⁰⁴⁾، لكن قد يُحتمل الضرر الخاص لتلافي الضرر العام، أو الضرر الأصغر لضررٍ أكبر منه.

حِكْمَةُ الشَّرْعِ:

وحِكْمَةُ الشَّرْعِ فِي كُلِّ ذَلِكَ وَاضِحَةٌ جَدًّا، وَمِنْهَا: أَنَّ الْحَيَاةَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَقِرَّ بَدُونِ الطَّاعَةِ، وَذَلِكَ مِنْ مَحَاسِنِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي لَا تَأْتِي إِلَّا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَالْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَعَلَيْهِ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَقِيمَ مَعَاشِ النَّاسِ وَرِعَايَةِ مَصَالِحِهِمْ، وَدَرْءِ الْمَفَاسِدِ عَنْهُمْ إِلَّا بِتِلْكَ الطَّاعَةِ.

مِنَ الْآثَارِ الْحَمِيدَةِ الْمُتَرْتِبَةِ عَلَى طَاعَةِ وُلاةِ الْأَمْرِ:

1- فِي ذَلِكَ امْتِثَالٌ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَرَسُولِهِ ﷺ، وَيَتَرْتَبُ عَلَى ذَلِكَ الْأَجْرُ وَالنَّوَابِ.

2- فِي ذَلِكَ تَلَاخُمٌ لِلأُمَّةِ وَتَمَاسُكٌ، وَاسْتِمْرَارٌ لِيَوْحَدَتْهَا.

3- انْتِظَامُ أُمُورِ الدَّوْلَةِ، سِوَاءِ مَا يَتَعَلَّقُ بِأُمُورِ الدِّينِ أَوْ الدُّنْيَا.

4- إِشَاعَةُ الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ فِي رُبُوعِ الْبِلَادِ.

5- سَبَبٌ لِقُوَّةِ الأُمَّةِ وَهَيْبَتِهَا وَنَصْرِهَا عَلَى أَعْدَائِهَا فِي الدَّخْلِ وَالخَارِجِ.

الْأَسْئَلَةُ:

س1: الاجتماع ضرورة إنسانية، فما الذي يلزم لاستمرار هذا الاجتماع ؟

س2: يشرع للجماعة إذا سافروا أن يؤمروا أحدهم، ما دليل ذلك ؟ وما فائدته ؟

س3: هل يجوز للمسلم إذا سمع بأمر الله أو بأمر رسوله ﷺ أن يؤخر الاستجابة حتى تتبين له

الحكمة، علل ما تقول ؟

س4: ما حكم ما يلي مع التعليل والاستدلال:

(أ) قطع الإشارة.

(ب) أمر الأستاذ بالهدوء أثناء الشرح.

¹⁰³ (رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب: كيف يُبايع الإمام الناس (193/13)، ح (7202).

¹⁰⁴ (رواه أحمد في مسنده (327/5)، ومالك في الموطأ، كتاب الأفضية، باب: القضاء في المرفق (745/2)، رقم (31)، وابن ماجه

في الأحكام، باب: مَنْ بُنيَ فِي حَقِّهِ مَا يَضُرُّ بِجَارِهِ (784/2)، ح (2340)، وقال النَّوَوِي فِي الْأَرْبَعِينَ ح (32): " حَدِيثٌ حَسَنٌ " .

(ج) أمرُك أخوك الأكبر أن تترك الصلاة في المسجد.
س5: إطاعة ولاة الأمر آتاء حَسَنَةً، اذكر ثلاثة منها.

الحُبُّ في الله

مَعْنَى الحُبِّ في الله:

لم يكن النَّاسُ في جاهليَّتهم يَعْرِفُونَ شيئاً اسمه (الحُبُّ في الله)، وكانت العَلاقاتُ التي تَرِبَتْ بِعَضَمِهِم بِبَعْضِ عَلاقاتِ مَنْشَأِهَا الأَرْضِ، أو النَّسَبِ، أو ما شابه ذلك، فجاء الله بِنُورِ الإسلامِ، وسما بتلك العَلاقاتِ، فجعل عَلاقةَ الدِّينِ أَزْفَعَهَا وَأَجَلَّهَا، ورَتَّبَ على هذه العَلاقةِ الأَجْرَ والثَّوابَ، والحُبَّ والبُغْضَ، فَنشَأَ مع الإسلامِ مُصْطَلَحٌ: الأُخُوَّةُ في الله، والحُبُّ في الله.

فالْحُبُّ في الله: حُبَّةُ المُسْلِمِ لِمَا فِيهِ مِنْ خِصَالِ الحَيْرِ والطَّاعَةِ لله تَعَالَى، فَلَيْسَتْ لِأَجْلِ المَالِ، ولا النَّسَبِ، ولا الوَطَنِ، ولا غير ذلك.

مِنْ فِضَائِلِ الحُبِّ في الله:

1- حُبَّةُ الله تَعَالَى لِلْمُتَحَابِّينَ فِيهِ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: ((أَنْ رَجُلًا زَارَ أَحَاً لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَحَاً لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرْتُمُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ أَنَّ اللهُ قَدْ أَحْبَبَكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ)) (105).

وفي الحديث القُدْسِيِّ: ((وَجَبَتْ حُبِّي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ)) (106).

2- المُتَحَابُّونَ فِي اللهِ تَعَالَى فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، قَالَ صلى الله عليه وسلم: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ... وَرَجُلَانِ تَحَابَّتَا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ)) (107).

وقال صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجِلالِي، اليَوْمَ أُظِلُّهُمُ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي)) (108).

¹⁰⁵ (رواه مسلم، كتاب البر، باب: فَضْلُ الحُبِّ في الله (1988/4)، رقم (2566).

وقوله: أَرْصَدَ عَلَى مَدْرَجَتِهِ: أَقْعَدَهُ عَلَى طَرِيقِهِ يَرْقُبُهُ، وقوله: (تَرْتُمُّهَا) بمعنى: تَحَفَّظُهَا وَتُرَاعِيهَا بِذَهَابِكَ إِلَيْهِ.

¹⁰⁶ (رواه مالك في الموطأ، كتاب الشَّعر، باب: ما جاء في المُتَحَابِّينَ في الله (953/2 - 954).

¹⁰⁷ (رواه البخاري في الأذان، باب: مَنْ جَلَسَ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ (الفتح 2/143)، رقم (660)، ومسلم في الزكاة، باب:

فَضْلُ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ (715/2)، رقم (1031).

¹⁰⁸ (رواه مسلم، كتاب البر، باب: فَضْلُ الحُبِّ في الله (1988/1)، رقم (2566).

3- الحُبُّ فِي اللَّهِ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ، قَالَ ﷺ: ((لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا...)) (109).

صِفَات مَنْ تَخْتَارُ أُخُوَّتَهُ وَمَنْ تَجْتَنِبُ:

لِمَا لِلصَّاحِبِ مِنْ تَأْتِيرٍ عَلَى صَاحِبِهِ فَالوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْتَنِيَ بِمَنْ يَخْتَارُهُ لِصُحْبَتِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يَخَالِلُ)) (110).

وَمِنْ أَهَمِّ الصِّفَاتِ الَّتِي يَنْبَغِي اتِّصَافُ الصَّاحِبِ بِهَا:

(أ) أَنْ يَكُونَ ذَا دِينَ وَتَقْوَى، بِخِلَافِ مَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلِكُلِّ مَنَّهُمَا عِلَامَاتٌ يُعْرَفُ بِهَا، فَعِلَامَةُ ذِي التَّقْوَى: حِرْصُهُ عَلَى فَرَائِضِ اللَّهِ، كَالصَّلَاةِ وَنُحُوهَا، وَنِظَافَةِ لِسَانِهِ مِنَ السَّبِّ وَاللَّعْنِ وَالغَيْبَةِ وَغَيْرِهَا، وَنُصْحِهِ لِصَاحِبِهِ، وَمُحِبَّتِهِ لِلصَّالِحِينَ، وَبُعْدِهِ عَنِ الرِّذَائِلِ وَالْفَوَاحِشِ، وَإِعَانَتِهِ وَتَشْيِيطِهِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ، وَعِلَامَةُ ضِدِّ ذَلِكَ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الرُّحْرِفُ: 67].

وَقَالَ ﷺ: ((لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ مِنْ طَعَامِكَ إِلَّا تَقِيًّا)) (111).

(ب) أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا، فَلَا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ الْأَحْمَقِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يُرِيدُ نَفْعَكَ فَيَضُرُّكَ (112).

(ج) أَنْ يَكُونَ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، فَسَيِّءُ الْخُلُقِ ضَرَرُهُ إِلَيْكَ وَاصِلٌ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يَعِدِيكَ بِسُوءِ طِبَاعِهِ، أَوْ يُؤْذِيكَ بِكَثْرَةِ حِصَامِهِ.

(د) أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ سُنَّةٍ، وَإِيَّاكَ وَصَاحِبَ الْبِدْعَةِ، فَإِنَّهُ يَجُرُّكَ إِلَى بَدْعَتِهِ، وَلَا أَقْلَ مِنْ أَنْ يُشَوِّشَ فِكْرَكَ، وَيُؤْذِي خَاطِرَكَ (113).

حُقُوقُ وَآدَابُ الْأُخُوَّةِ:

لِلْأُخُوَّةِ آدَابٌ، الْقِيَامُ بِهَا مُشْعِرٌ بِصِدْقِ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ فِي اللَّهِ تَعَالَى، فَمِنْهَا:

¹⁰⁹ (رَوَاهُ مُسْلِمٌ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ (74/1)، رَقْمُ (54).

¹¹⁰ (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، فِي كِتَابِ الْأَدَبِ، بَابُ: مَنْ يُؤْمَرُ أَنْ يَجَالَسَ (168/5)، رَقْمُ (4833)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الرَّهْدِ، بَابُ (45) (589/4)، رَقْمُ (2378)، وَهَذَا لَفْظُهُ، وَقَالَ: " حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ " .

¹¹¹ (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي الْأَدَبِ، بَابُ: مَا يُؤْمَرُ أَنْ يَجَالَسَ (167/5)، (4832)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الرَّهْدِ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي صُحْبَةِ الْمُؤْمِنِ (600/4)، رَقْمُ (2395)، وَقَالَ: " حَدِيثٌ حَسَنٌ " .

¹¹² (لِلْإِسْتِرَادَةِ فِي هَذِهِ الْجِزْيَةِ يُمْكِنُ النَّظَرُ فِي أَوَّلِ كِتَابِ (الْحَمَمِيُّ وَالْمَعْتَلِينَ) لِابْنِ الْجَوْزِيِّ.

¹¹³ (لِلْإِسْتِرَادَةِ فِي هَذِهِ الْجِزْيَةِ انظُرْ رِسَالَةَ: (هَجْرُ الْمَبْتَدِعِ) لِلشَّيْخِ بَكْرِ أَبِي زَيْدٍ.

- 1- السَّلَام، والبشاشة عند اللقاء، قال ﷺ: ((لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)) (114).
- 2- الهدية، ولها أثر كبير في زيادة المحبة، وإذهاب ما في النفوس، قال ﷺ: ((تهادوا تحابوا)) (115).
- 3- الدعاء له، قال ﷺ: ((ما من عبدٍ مسلمٍ يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك: ولك بمثل)) (116)، ويستمر ذلك في حياته وبعد موته.
- 4- إخباره بهذه المحبة، قال ﷺ: ((إذا أحبَّ الرجلُ أخاه، فليخبره أنه يحبُّه)) (117).
فليقول له: إني أحبُّك في الله، ويُرَدُّ عليه: أحبُّك الله الذي أحببني له (118).
- 5- الزيارة، والأفضل كونها بين فترة وأخرى، لا قليلة فتنتج الجفاء، ولا كثيرة فتؤدي إلى السامة والمَلَل، قال ﷺ: ((زُرْ غَيْباً، تَزِدَّ حُبّاً)) (119)، وقيل:
زُرْ غَيْباً تَزِدَّ حُبّاً فَمَنْ أَكْثَرَ التَّكْرَارِ أَقْصَاهُ الْمَلَلُ.
- 6- المعونة وقضاء الحوائج، وأعلى مراتبها: تقديم حوائجه على حوائج النفس، وأوسطها: القيام بحوائجه من غير طلبٍ منه، مع كونها غير متعارضة مع حوائج النفس، وأقل ذلك القيام بحوائجه بعد طلبه.
- 7- سترُ معاييه، وحفظُ سرِّه، والقيامُ له بحَقِّ النَّصِيحَةِ بِأَدَبٍ وَسِتْرٍ، والدِّفاعُ عن عَرَضِهِ، والتَّجاوُزُ عن زَلَّاتِهِ، وحُسْنُ الخُلُقِ معه، وغير ذلك.

الأسئلة:

س1: متى نشأ مصطلح (الحب في الله)، وما سبب نشوئه في نظرك؟

-
- 114 (رواه مسلم، كتاب البر، باب: استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (2026/4)، رقم (2626).
- 115 (رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (594)، والبيهقي (169/6) عند أبي هريرة، وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (71 0 70/3): "إسناده حسن"، وانظر الإرواء (44/6).
- 116 (رواه مسلم، كتاب الذكر، باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (2094/4)، رقم (2732).
- 117 (رواه أبو داود في الأدب، باب: إخبار الرجل بمحبته إياه (343/5)، رقم (5124)، والترمذي في الزهد، باب: ما جاء في إعلام الحب (2393)، وقال: "حسن صحيح".
- 118 (رواه أبو داود، الموضع السابق، رقم (5125).
- 119 (رواه البزار (كشف الأستار 2/390، 3/5)، والحارث بن أبي أسامة، والطبراني في الأوسط والكبير، والبيهقي في الشعب (326/6 - 328)، والحاكم (347/3)، وغيرهم، وقال السخاوي في المقاصد (ص 233): "وأفرد أبو نعيم طرفة ثم شيخنا (ابن حجر) في (الإشارة بطرق غيب الزيارة)، وبمجموعها يتقوى الحديث، وانظر: صحيح الجامع رقم (3562).

س2: لماذا يُنبغي الاهتمام باختيار الصّاحِب ؟ استشهد لِمَا تقول.

س3: قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾، ارجع إلى تفسير هذه

الآية في بعض كتب التفسير، ثم انقل ما يمكن أن تستفيده من موضع الصداقة ؟

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى في معنى الحديث: إنما طلب العلم فريضة أن يقع الرجل في شيء من أمر دينه فيسأل عنه حتى يعلمه (121).

فضائل العلم:

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نُسب إليه، وكفى بالجهل ذمماً أن يتبرأ منه من هو فيه (122).

للعلم فضائل كثيرة تدل على شرفه ورفعة مكانته، منها:

1- أن الله تعالى وصف أهل العلم بالخشية له، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ الآية [فاطر: 28]، فالعلم يورث خشية الله تعالى.

2- أن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة منه، فقال تعالى: ﴿ وَقُل رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: 14].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى عن هذه الآية: إنها واضحة الدلالة على فضل العلم؛ لأن الله تعالى لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم (123).

3- أن العلم سبب للرفعة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: 11].

والمعنى أن الله تعالى يرفع المؤمن على غيره، ثم خص العالم بمزيد رفعة على غيره من المؤمنين.

4- العلم طريق للجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((... ومن سلك طريقاً يلتمس بها علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)) (124).

5- العلم ميراث الأنبياء: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها، فقال: يا أهل السوق، ما أعجزكم؟ قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقسَّم وأنتم هاهنا، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه، قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد فخرجوا سراعاً، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: مالكم؟ فقالوا: يا أبا هريرة، فقد أتينا

¹²¹ عن المقاصد الحسنة، وكشف الخفاء الموضوع السابق، وانظر للاستزادة في الموضوع: مفتاح دار السعادة لابن القيم (161/1)، في الوجه الثاني والثلاثين بعد المائة.

¹²² (تذكرة السامع والمتكلم ص 10).

¹²³ (فتح الباري (141/1)، أول كتاب العلم).

¹²⁴ رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (2074/4)، رقم (2699).

المسجدَ فَدَخَلْنَا فِيهِ، فَلَمْ نَرِ فِيهِ شَيْئاً يُقَسِّمُ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَمَا رَأَيْتُمْ فِي الْمَسْجِدِ أَحَداً ؟ قَالُوا: بلى، رَأَيْنَا قَوْماً يُصَلُّونَ، وَقَوْماً يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَقَوْماً يَتَذَكَّرُونَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَيُحْكُمُ، فَذَلِكَ مِيرَاثُ مُحَمَّدٍ ﷺ (125).

6- أَنَّهُ عَلاَمَةٌ عَلَى إِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى الْخَيْرَ لِلْعَبْدِ.

عن معاوية رضي الله عنه عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)) (126)، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ما مُلَخِّصُهُ: ومفهوم الحديث أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ أُمُورَ دِينِهِ لَا يَكُونُ فَقِيهاً، وَلَا طَالِبَ فَقْهٍ، فَيَصِحَّ أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ مَا أُريدَ بِهِ الْخَيْرَ، وَفِي ذَلِكَ بَيَانٌ ظَاهِرٌ لِفَضْلِ الْعُلَمَاءِ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ (127).

مِنْ آدَابِ الْعَالِمِ وَالْمُتَعَلِّمِ:

1- الإِخْلَاصُ: فَيَطْلُبُ الْعِلْمَ تَقَرُّباً إِلَى اللَّهِ وَحَدَهُ، وَيُعَلِّمُ الْآخَرِينَ، لَا أَنْ يَطْلُبَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَلَا لِمُبَاهَاةِ الْأَقْرَانِ، وَتَعْظِيمِ النَّاسِ، وَالتَّصَدِيرِ فِي الْمَجَالِسِ، وَلَا يَطْلُبُهُ لِتَحْصِيلِ شَهَادَةِ يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى عَمَلٍ دُنْيَوِيٍّ.

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُفْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ...)) وَذَكَرَ ثَلَاثَةً، وَمِنْهُمْ: ((رَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمَلْتُ فِيهَا ؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ)) (128).

2- الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ ثَمَارِ الْعِلْمِ: الْعَمَلُ بِهِ، وَإِلَّا فَمَا فَائِدَةٌ أَنْ يَعْلَمَ الْمُسْلِمُ أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ وَاجِبٌ ثُمَّ تَجِدُهُ مُعْرِضاً عَنْهُ، أَوْ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ الْفِعْلَ حَرَامٌ ثُمَّ تَرَاهُ مُنْكَباً عَلَيْهِ، وَلَا جُلَّ هَذَا اهْتِمَامَ الْعُلَمَاءِ بِهَذَا الْجَانِبِ، فَكَتَبُوا فِيهِ، فَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُ: (اِقْتِضَاءُ الْعِلْمِ الْعَمَلِ)، لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ، وَكِتَابُ: (ذَمُّ مَنْ لَا يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ) لِلْحَافِظِ أَبِي الْقَاسِمِ ابْنِ عَسَاكِرِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمَا.

¹²⁵ (رواه الطبراني في الأوسط، قال المنذري والهيثمي: "إسناده حسن". (التَّزْغِيبُ وَالتَّهْزِيبُ 1/103)، (مجمع الزوائد 1/124).

¹²⁶ (متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ (164/1)، ح (71)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب: التَّهْيِئَةُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ (718/2)، ح (1037).

¹²⁷ (يُنْظَرُ: فَتْحُ الْبَارِي (165/1).

¹²⁸ (رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب: مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمُوعَةِ (1513/3)، ح (1905).

قال ﷺ: ((لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ)) (129).

3- الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْعِلْمِ:

وَمِنْ ثَمَارِ الْعِلْمِ: بَذْلُهُ لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ تَبْلِيغِ الْعِلْمِ الْمَأْمُورِ بِهِ فِي مِثْلِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: ((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)) (130).

4- التَّوَاضُّعُ:

فَلَا يَتَرَفَّعُ عَنِ الْآخَرِينَ عُجْبًا بِنَفْسِهِ وَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ، وَلَا يَحْتَقِرُ النَّاسَ وَيَزِدُّرِيهِمْ، فَالْكِبَرُ خُلُقٌ مَذْمُومٌ، وَالتَّوَاضُّعُ وَاللِّينُ خُلُقٌ مَحْمُودٌ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ)) (131)، وَمِنْ عِلَامَاتِ التَّوَاضُّعِ: الْعَطْفُ عَلَى الْغَيْرِ، وَاحْتِرَامُ الْكَبِيرِ، وَأَلَّا يَرَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ أَعْلَى قَدْرًا مِنْ أَقْرَانِهِ.

5- أَنْ يَتَأَدَّبَ الطَّالِبُ مَعَ مُعَلِّمِهِ:

فِيحْتَرِمَهُ وَيَجِلَّهُ، وَيَتَأَدَّبُ مَعَهُ فِي السُّؤَالِ، وَلَا يُسَابِقُهُ الْجَوَابَ أَوْ الْكَلَامَ، وَلَا يُقَاطِعُهُ، بَلْ يُنصِتُ إِلَى كَلَامِهِ، وَلَا يَتَحَدَّثُ مَعَ أَحَدٍ أَتْنَاءَ كَلَامِ الْمُعَلِّمِ.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ أَخَذَ بِرِكَابِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ: ((تَنَحَّ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّا هَكَذَا نَفْعَلُ بِكِبْرَائِنَا وَعُلَمَائِنَا)) (132).

6- عَدَمُ الْجُرْأَةِ عَلَى الْفَتْوَى وَإِصْدَارِ الْأَحْكَامِ بَدُونَ عِلْمٍ، وَلَيْكُنْ شِعَارُهُ فِيمَا لَا يَحِيطُ بِعِلْمِهِ أَنْ يَقُولَ: (لَا أَعْلَمُ)، أَوْ (لَا أَدْرِي)، فَلَيْسَ أَحَدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ الَّذِي يُفْتِي النَّاسَ فِي كُلِّ مَا يُسْتَفْتَى لَمَجْنُونٌ، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: " لَا أَدْرِي نِصْفُ الْعِلْمِ " (133).

¹²⁹ (رواه الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (61/6) مِنْ حَدِيثِ مَعَاذٍ، وَهَذَا لَفْظُهُ، قَالَ الْمُنْذَرِيُّ فِي الرَّغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ (396/4): " إسناده صحيح "، ورواه الترمذي بنحوه (612/4)، ح (2417)، عن أبي هريرة، وقال: " حسن صحيح "، ورواه غيرهم، (انظر: السلسلة الصحيحة رقم 946).

¹³⁰ (رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل (496/6)، ح (3461).

¹³¹ (رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب: استيحاب العفو والتواضع (2001/4)، ح (2588).

¹³² (رواه الحاكم في مستدركه (423/3)، وقال: " صحيح الإسناد على شرط مسلم ".

¹³³ (رواه الدارمي (57-56/1).

تَظْهَرُ حُطُورَةَ الْقَوْلِ - فِي الدِّينِ - بغيرِ عِلْمٍ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّكَ فِي الْحَقِيقَةِ لَا تَخْبِرُ عَنْ رَأْيِكَ، وَإِنَّمَا تَخْبِرُ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ، فَكَأَنَّكَ تَقُولُ لِمَنْ سَأَلَكَ: هَذَا هُوَ حُكْمُ الشَّرْعِ فِي ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 33].

وَلَنَا فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ، فَقَدْ كَانُوا إِذَا سُئِلُوا عَمَّا لَا يَعْلَمُونَ قَالُوا: ((لَا نَدْرِي))، أَوْ ((لَا نَعْلَم))، أَوْ ((اللَّهُ أَعْلَم))، وَإِلَيْكَ مِثَالًا وَاحِدًا عَلَى ذَلِكَ: عَنْ جَبْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَيُّ الْبِلَادِ شَرٌّ؟ قَالَ: ((لَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ)) فَسَأَلَ جَبْرِيلَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: ((لَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ رَبِّي)) فَانْطَلَقَ فَلَبِثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: ((إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: شَرُّ الْبِلَادِ الْأَسْوَاقُ)) (134).

قَالَ الْحَاكِمُ: هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ فِي قَوْلِ الْعَالَمِ: لَا أَدْرِي.

7- أَنْ يَتَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى أَهْلِهِ، وَهُمْ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَأْخُذُ عَنْ كُلِّ مَنْ هَبَّ وَدَبَّ، فَإِنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ كَثِيرٌ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ لَا يَتَوَرَّعُ عَنِ إِطْلَاقِ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ بَدُونَ عِلْمٍ.

8- مَحَبَّةُ الْعُلَمَاءِ، وَتَقْدِيرُ جُهْدِهِمْ، الْحَيِّ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِ، وَعَدَمُ انْتِقَاصِ أَحَدٍ مِنْهُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَرْكَلَةٌ قَدَمٌ، قَالَ ﷺ: ((قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ)) (135).

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى: إِنْ لَمْ يَكُنِ الْعُلَمَاءُ أَوْلِيَاءَ لِلَّهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ وَلِيٌّ.

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ عَسَاكِرَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنْ لَحِقَ الْعُلَمَاءُ مَسْمُومَةٌ، وَعَادَةُ اللَّهِ فِي هَتَاكِ أَسْتَارِ مُنْتَقِصِيهِمْ مَعْلُومَةٌ، وَإِنْ مَنْ أَطْلَقَ لِسَانَهُ فِي الْعُلَمَاءِ بِالثَّلْبِ، ابْتَلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى قَبْلَ مَوْتِهِ بِمَوْتِ الْقَلْبِ (136).

¹³⁴ (رواه أحمد في المسند (81/4)، والبيزار (كشف الأستار 2/81)، والطبراني (1/128)، والحاكم (1/89، 90)، وغيرهم، وقال الحافظ ابن حجر: " هذا حديث حسن ". (مؤافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر 10/1-11)، وقد ذكر في هذا الكتاب جملة من الآثار عن السلف، وانظر أيضاً: سنن الدارمي (1/35 - 65)، باب: الفتيا وما فيه من الشدة.

¹³⁵ (رواه البخاري كتاب الرقاق، باب: التواضع (340/11)، ح (6502).

¹³⁶ (عن التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، الباب الثالث (ص 12).

9- الاستمرار في طلب العلم، وعدم التوقف عند حدٍّ مُعَيَّن، وليس الغرض مجرد تحصيل شهادة مُعَيَّنة ثم ينتهي العلم، بل يستمر في تحصيل العلم وزيادته إلى آخر العمر، قال الإمام أحمد: إِنَّمَا أَطْلُبُ الْعِلْمَ إِلَى أَنْ أَدْخَلَ الْقَبْرَ (137).

10- خِدْمَةُ أُمَّتِهِ وَوَطَنِهِ فِي الْمَجَالِ الَّتِي يَحْسِنُهَا وَيُتَّقِنُهَا، وَهَذَا مِنَ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ. وَأخِيرًا فَلْيَحْذَرِ الطَّالِبُ مِنَ الْقِرَاءَةِ غَيْرِ النَّافِعَةِ، فَإِنَّهَا تُضَيِّعُ الزَّمَانَ، وَتُشَوِّشُ الْفِكْرَ، وَقَدْ تُفْسِدُ الْعَقَائِدَ، وَلِيُحْرِصَ عَلَى الْإِنْتِقَاءِ، وَلِيَسْأَلَ عَمَّا يَقْرَأُ مَنْ يَتَّقُ بِهِ مِنَ عَالَمٍ وَأَسْتَاذٍ وَمُرَبٍِّّ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْعِلْمِ مَجْرَدَ الْقِرَاءَةِ، فَإِنَّ الْقِرَاءَةَ الْيَوْمَ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّ الْعُلَمَاءَ قَلِيلٌ.
الأسئلة:

- س1: ما حدّ العلم الواجب؟ مع التمثيل.
- س2: اذكر ما يمكنك من أدب للطالب مع أستاذه.
- س3: تحدّث عن خطورة الفتوى بغير علم، وهل صحيح أنها منتشرة بين الناس اليوم؟ وضح ذلك ذاكراً بعض ما تعرفه من مظاهر التسرع في الفتوى.
- س4: تحدّث عن محبة العلماء وتقديرهم.
- س5: القراءة نوعان: نافعة وأخرى غير نافعة، اجتهد في وضع تحديد لمفهوم كل نوع منها، واذكر أمثلة لذلك.

¹³⁷ (من مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى (71/1)، (الوجه السادس والخمسون)، وانظر للاستزادة.

ثالثاً: الحديث الشريف

الحديث الخامس

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا تلبسوا الحريرَ ولا الديباجَ، ولا تشربوا في آنية الذهبِ والفضةِ، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة)) متفق عليه (138).

التعريف بالرّواي:

هو الصحابي الجليل: حذيفة بن اليمان: حسل بن جابر العبسي، أسلم هو وأبوه، وشهد أحداً، وقُتل اليمان بها.

روى أحاديث كثيرة، وكان صاحب سِرِّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فيخبره عن المنافقين وأحوالهم، استعمله عمر رضي الله عنه على المدائن، وكان عمر رضي الله عنه لا يُصلي على مَنْ لا يُصلي عليه حذيفة، توفي رضي الله عنه بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه بأربعين يوماً، سنة ست وثلاثين (139).

المباحث اللغوية:

الكلمة	معناها
الديباج:	أصله في اللغة: من الدبج، وهو النقش والتزيين، فارسيّ مُعَرَّب، وهي الثياب المتخذة من الإبريسم، والمدبج: الذي زينت أطرافه بالديباج.
صحافها:	جمع صحفة، وهي الإناء الذي يُشبع الخمسة.
فإنها لهم:	أي: إن آنية الذهب والفضة للكفار في الدنيا، وهذا إخبار عن واقعهم وحالهم، وليس إخباراً عن حلّها لهم.

الأحكام والتوجيهات:

1- النهي عن لبس الحرير والديباج للرجال دون النساء، وهذا النهي يقتضي التحريم، يؤيد ذلك ما رواه الترمذي وغيره عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((حُرِّمَ لباس الحرير والذهب على ذكور أمّتي، وأُحِلَّ لإناثهم)) (140).

¹³⁸ (أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، باب: الشرب في آنية الذهب (94/10)، برقم (5632)، وفي (96/10)، برقم (5633)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب: تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء (1638/3)، برقم (2067)، واللفظ لمسلم.

¹³⁹ (يُنظر: سير أعلام النبلاء (361/2)، والإصابة (223/2).

¹⁴⁰ (يُنظر: سنن الترمذي، كتاب اللباس، باب: ما جاء في الحرير والذهب (217/4)، وقال: " حديث حسن صحيح " .

وُيَسْتَتْنِي مِنْ هَذَا التَّحْرِيمِ مَا كَانَ لِلضَّرُورَةِ أَوْ لِلحَاجَةِ أَوْ لِمَصْلَحَةٍ، كَأَن يَحْتَاج إِلَى لِبْسِهِ فِي سَاحَةِ الْقِتَالِ، أَوْ يَكُونُ بِهِ مَرَضٌ فِي جِلْدِهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((رَخَّصَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلزُّبَيْرِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي لِبْسِ الْحَرِيرِ، لِحُكَّةٍ بَيْنَهُمَا)) (141).

2- مِمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ: النَّهْيُ عَنِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَالنَّهْيُ يَقْتَضِي التَّحْرِيمَ، وَيَدْخُلُ فِي النَّهْيِ أَيْضاً: سَائِرُ الاسْتِعْمَالَاتِ الْأُخْرَى كَالْوَضُوءِ وَالِاغْتِسَالِ، وَاتِّخَاذَهَا لِلزَّيْنَةِ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَا حَرَّمَ اسْتِعْمَالُهُ حَرَّمَ اتِّخَاذَهُ) (142).

وَيُؤَيِّدُ مَا تَقَدَّمَ مَا وَرَدَ مِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ فِي ذَلِكَ، فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((الَّذِي يَشْرَبُ فِي إِنَاءِ الْفِضَّةِ إِنَّمَا يَجْرِحُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ)) (143).

3- ذُكِرَ فِي الْحَدِيثِ عَلَّةُ النَّهْيِ عَنِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ بِأَنَّهَا آنِيَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَاسْتَنْبَطَ الْعُلَمَاءُ عَلَلاً أُخْرَى، وَهِيَ:

(أ) أَنَّهَا تَجْلِبُ الْكِبَرَ وَالْحَيْلَاءَ.

(ب) اسْتِعْمَالُهَا يَكْسِرُ قُلُوبَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ.

(ج) مُشَابَهَةُ الْكُفَّارِ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي الدُّنْيَا.

(د) أَنَّ فِي اسْتِعْمَالِهَا ضِياعاً لِلْأَمْوَالِ وَتَبْذِيراً وَإِسْرَافاً.

4- مَا ذُكِرَ فِي تَحْرِيمِ اسْتِعْمَالِ آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ يَدْخُلُ فِيهِ الْمَطْلَبِيُّ بِالذَّهَبِ أَوْ الْفِضَّةِ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُهُ، أَمَّا الْمَطْلَبِيُّ بِلَوْنِ الذَّهَبِ وَلَيْسَ بِذَهَبٍ حَقِيقَةً فَلَا يَدْخُلُ فِي التَّحْرِيمِ.

5- مِمَّا يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَجَنَّبَ كُلَّ مَا يُؤَدِّي إِلَى التَّزْوِيرِ وَالِإِسْرَافِ الَّذِي يُرِي فِي النَّفْسِ الْكِبَرَ وَالْحَيْلَاءَ وَالْعُرُورَ وَالتَّعَالِيَّ عَلَى النَّاسِ.

6- عَلَى الْمُسْلِمِ أَيْضاً أَنْ يَتَجَنَّبَ كُلَّ مَا فِيهِ مُشَابَهَةٌ لِلْكُفَّارِ، فَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ مُشَابَهَتِهِمْ فِي مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّ لِلْمُسْلِمِ شَخْصِيَّتَهُ الْمُتَمَيِّزَةَ الْمُبَيِّنَةَ عَلَى تَنْفِيذِ تَعَالِيمِ دِينِهِ.

141 (أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب: ما يُرَخَّصُ لِلرِّجَالِ مِنَ الْحَرِيرِ لِلْحُكَّةِ (295/1).

142 (نقلاً عن حاشية الرُّوضِ الْمَرْبِعِ، لابن قاسم (103/1).

143 (أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب: الشُّرْبُ فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ (96/1).

الأسئلة:

- س1: بيّن مَرَجِع الضَّمائر الآتية: (صِحافِها)، (فِإِنَّها)، (لِهم).
- س2: ما حكم اسْتِعْمال الإبريق المصبوغ بالذَّهَب ؟
- س3: ما حكم اتِّخاذ قَلَم أو ساعة مِنَ الذَّهَب لِلرِّجال والنِّساء ؟ وما الدَّلِيل على ذلك ؟
- س4: ما الحِكْمَة مِنَ تَحْرِيم اسْتِعْمال الحَرِير لِلرِّجال ؟

الحديث السادس

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: ((لقد هُنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستقبل القبلة لغائطٍ أو بؤل، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو عظيم)). رواه مسلم (144).

التعريف بالراوي:

هو الصحابي الجليل أبو عبد الله سلمان الفارسي، يعرف بسلمان الخير، أصله من فارس، وكان مجوسياً ثم أسلم وأصبح مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي أشار بحفر الخندق في غزوة الأحزاب، كان من خيار الصحابة وزهادهم وفضلائهم، ومن عقلاء الرجال ونبلائهم، اختلف في زمن موته، فقيل: مات في خلافة عمر رضي الله عنه، وقيل في خلافة عثمان رضي الله عنه.

المباحث اللغوية:

معناها	الكلمة
الاستنجاء: مأخوذ من نحو الشجرة وأنجيتها: إذا قطعها، سمي بذلك؛ لأنه يقطع الأذى عنه، والاستنجاء شرعاً: إزالة الخارج من السيلين عن مخرجه بالماء أو بالأحجار ونحوها، والغالب أن ما كان بالحجارة ونحوها يُطلق عليه الاستجمار.	نستنجي:
المراد باليد اليمنى.	باليمين:
هو الروث.	برجيع:

الأحكام والتوجيهات:

1- في الحديث النهي عن استقبال القبلة أثناء قضاء الحاجة، والنهي يقتضي التحريم، وخص جمهور العلماء هذا النهي في الصحراء، أما إذا كان قضاء الحاجة في البنية فحائز؛ لما روى البخاري وغيره

¹⁴⁴ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب: الاستطابة (223/1)، برقم (262).

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (ارتقيت فوق بيت حفصة لبعض حاجتي، فرأيت الرسول صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته مستدبر القبلة، مستقبل الشام) (145).

ورأى بعض أهل العلم أن النهي للكرهة مطلقاً، سواء كان في الصحراء أو في البنيان، جمعاً بين الأدلة.

والأولى للمسلم أن يحرص على احترام القبلة فلا يستقبلها ولا يستدبرها حال قضاء الحاجة، حتى ولو كان في البنيان.

2- النهي عن الاستنجاء باليد اليمنى؛ لأن اليد اليمنى لا تستعمل إلا في الأشياء المستحسنة، كالأكل والشرب والمصافحة ونحوها، وعليه فاليد اليسرى تكون لغير ذلك. وذكر أهل العلم أن النهي للكرهة، فإذا كانت هناك حاجة في استعمالها لغير الأشياء المستحسنة كالاتنجاء فلا بأس.

3- حدّد الحديث عدد الحجارة التي يستنجى بها، وذلك بأن لا تقلّ عن ثلاثة أحجار، وعليه فلا يجوز الاقتصار على الثلاثة إذا لم يحصل تنظيف المحلّ، فإن لم يحصل فلا بُدّ من الزيادة حتى يحصل التنظيف والإتفاء.

4- استعمال الحجارة نيابة عن الماء ولذا فالأفضل الجمع بينهما، فإن لم يكن فالإقتصار على الماء، ويجوز الاقتصار على الحجارة أو ما يقوم مقامها كالمناديل والورق ونحوها مما ينقي وينظف.

5- ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً للأشياء التي لا يجوز الاستنجاء بها، وهي: الرّجيع، والعظم، ويدخل ما في معناها، مثل:

(أ) المطعومات بأنواعها.

(ب) ما لا يُنظف ويُزِيل الخراج، مثل الرّجاج وما في حكمه.

(ت) الأشياء النّجسة؛ لأنّ النّجس لا يُزِيل النّجاسة.

6- دين الإسلام دين الطهر والنّظافة الظّاهرة والباطنة، فكما يريد الإسلام نّظافة الظّاهر من النّجاسات والأوساخ، فهو يحرص على طهارة الباطن من الأدران والأحقاد والحسد ونحوها.

7- الأشياء المحترمة من المآكل والمشارب والأوراق التي فيها ذكر لله عزّ وجلّ ونحوها لا يجوز أن تُبَاشَر الأشياء النّجسة.

¹⁴⁵ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب: التبرّز في البيوت (250/1)، رقم (148)، ومسلم في الطهارة، باب: الاستطابة (225/1)، رقم (266).

8- الإسلام دين شامل لجميع شؤون الحياة، فليس في الإسلام فصل بين أمور العبادات وسائر أمور الحياة، بل لا بُدَّ أن تكون الحياة كلها وفق شريعة الله تعالى.

الأسئلة:

س1: ما المراد بالاستنجاء؟

س2: بأي شيء يكون الاستنجاء؟

س3: ما حكم الاستنجاء بما يلي، مع التعليل:

(أ) الورق.

(ب) المنديل.

(ج) الروث.

(د) الحديد.

(ذ) البلاط الأملس.

س4: يدلّ الحديث على اهتمام الإسلام بالنّظافة، أورد أمثلة أخرى من مظاهر اهتمامه بها.

س5: دلّ الحديث على احترام المقدّسات الإسلاميّة، وضح ذلك، ثم بين أمثلة أخرى على احترام

المقدّسات ممّا لم يُذكر في الحديث.

الحديث السابع

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِيَّاكُمْ والجلوس في الطُّرُقَات، فقالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بُدُّ نَتَحَدَّثُ فيها، فقال: ((فإذا أَبَيْتُمْ إِلَّا الجلسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ، قالوا: وما حقُّ الطَّرِيقِ يا رسولَ الله ؟ قال: غَضَّ البَصَرَ، وكَفَّ الأذَى، ورَدَّ السَّلَامَ، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر)) متَّفَق عليه، واللفظ للبخاري (146).

التعريف بالزاوي:

هو الصَّحابي الجليل أبو سعيد الخدري، واسمه: سعد بن مالك بن سنان، الخزرجي الأنصاري الخدري، نِسْبَةٌ إلى حدرة، حيِّ من الأنصار، استشهد أبوه يوم أُحُد، وشَهِد أبو سعيد الخندق، وبَيْعَةَ الرِّضوان، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ألفاً ومائة وسبعين حَدِيثاً، وكان أحدَ الفقهاء المجتهدين، مات رضي الله عنه سنة أربع وسبعين (147).

المباحث اللُّغَوِيَّة:

معناها	الكلمة
للتنحيز، والمعنى: احذروا الجلوس في الطُّرُقَات.	إِيَّاكُمْ:
((الجلوس)) منصوبة، أي: احذروا الجلوس. والطُّرُقَات: بضم الطَّاء والراء، جمع طُرُق، بضم الطَّاء والراء أيضاً، وطُرُق: جمع طَرِيق، والمقصود التنحيز من الجلوس في الشُّوارع والأسواق والأماكن العامَّة. وفي رواية عند مسلم: ((كُنَّا نُعُودُ بِالْأَفْنِيَّةِ))، والأفْنِيَّة: جَمْعُ فِنَاء، هو المكان المتَّسع أمام البَيْت.	والجلوس في الطُّرُقَات:
أي إذا امتنعتم عن ترك الجلوس في هذه الأماكن.	ما لنا من مجالسنا بُدُّ:
في رواية: (حَقَّهَا)، والطَّرِيق يذُكَّر ويؤنَّث، والمعنى: إذا كان لا بُدُّ لكم من الجلوس	فأعطوا الطَّرِيق

¹⁴⁶ (أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب: أفنية الدُّور والجلوس فيها (5/112)، برقم (2465)، وفي كتاب الاستبذان (8/11)، برقم (6229)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب: النَّهي عن الجلوس في الطُّرُقَات (3/1675)، برقم (2121).

¹⁴⁷ (يُنظر: سير أعلام النبلاء (3/168)، وتهذيب التهذيب (3/479).

حَقُّهُ:	فامْتَثَلُوا آدَابَ الطَّرِيقِ وَحُقُوقَهُ الْوَاجِبَةَ عَلَيْكُمْ.
غَضَّ الْبَصَرَ:	أَيَّ عَمَّا لَا يَجِلُّ النَّظْرَ إِلَيْهِ، وَأَصْلُ الْعَضِّ: إِطْبَاقُ الْجَفْنِ عَلَى الْجَفْنِ بَحَيْثُ تَمْتَنَعُ الرُّؤْيَا.
كَفَّ الْأَدَى:	أَيُّ مِنَ الْمَارِّينَ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ مِنْ نَحْوِ التَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ أَوْ احْتِقَارِهِمْ وَعَمَزِهِمْ، وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ.

الأحكام والتوجيهات:

- 1- يَهْدِفُ الْإِسْلَامُ إِلَى الرُّفْيِيِّ بِالْمَجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ إِلَى مَعَالِي الْأُمُورِ، وَسُمُو الْأَخْلَاقِ، وَعُلُوَّ الْآدَابِ، وَيَنْتَأَى بِأَفْرَادِهِ عَنِ كُلِّ خُلُقٍ سَيِّئٍ أَوْ عَمَلٍ مَشِينٍ، وَيُرِيدُ أَنْ يَكُونَ الْمَجْتَمَعُ مَجْتَمَعُ مَحَبَّةٍ وَالْفَقَّةِ، تَرْبِطُ بَيْنَ عَنَاصِرِهِ الْأَخُوَّةَ وَالْمُودَّةَ، أَلَا تَرَى إِلَى تِلْكَ الْمُنَاقَشَةِ الْهَادِفَةَ بَيْنَ قَائِدِ الْأُمَّةِ وَأَفْرَادِهَا حَوْلَ ظَاهِرَةِ اجْتِمَاعِيَّةٍ مُهِمَّةٍ، لَوْ بَقِيَتْ عَلَى وَضْعِهَا لَأَفْسَدَتِ الْمَجْتَمَعُ، فَدَلَّهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ إِلَى الْوَضْعِ السَّلِيمِ بِجَاهِهَا.
- 2- تَكَامُلُ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ فِي تَشْرِيْعِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَآدَابِهِ، فِي رِعَايَةِ حُقُوقِ الْآخَرِينَ، وَفِي كُلِّ شَأْنٍ مِنَ الْحَيَاةِ، تَشْرِيْعٌ لَا يَكَادُ يُوجَدُ فِي أَيِّ دِينٍ أَوْ مَذْهَبٍ.
- 3- الْأَصْلُ فِي الطَّرِيقِ وَالْأَفْنِيَّةِ الْعَامَّةِ أَنَّهُ لَا يَسْتَلِجُ لِلْجُلُوسِ؛ لِأَنَّهُ يَنْتَرَبُّ عَلَى الْجُلُوسِ فِيهَا أَضْرَارٌ، مِنْهَا:
 - (أ) التَّعَرُّضُ لِلْفِتْنَةِ.
 - (ب) إِيْذَاءُ الْآخَرِينَ بِالسَّبِّ وَالْعَمَزِ وَاللَّمْزِ.
 - (ج) الْإِطْلَاعُ عَلَى الْأَحْوَالِ الْخَاصَّةِ لِلنَّاسِ.
 - (د) ضِيَاعُ الْأَوْقَاتِ بِمَا لَا فَائِدَةَ مِنْهُ.
- 4- عَرَّضَ الرَّسُولُ ﷺ هَذَا الْحَدِيثَ بَعْضَ حُقُوقِ الطَّرِيقِ، وَهِيَ:
 - (أ) غَضَّ الْبَصَرَ وَكَفَّهُ عَنِ النَّظْرِ فِي الْمَحْرَمَاتِ، فَالطَّرِيقُ مُعَرَّضٌ لِمُرُورِ النِّسَاءِ اللَّاتِي يُقْضِينَ حَوَائِجَهُنَّ، وَغَضَّ الْبَصَرَ عَنِ الْمَحْرَمَاتِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي يَجِبُ التَّقْيُّدُ بِهَا فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ وَالظُّرُوفِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: 30].

(ب) كَفَّ الْأَذَى عَنِ الْمَازَةِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ كَبِيراً أَوْ صَغِيراً، مِثْلَ الْإِعْتِدَاءِ بِالْكَلامِ السَّيِّئِ، كَالسَّبَابِ وَالشَّتَائِمِ وَالْغَيْبَةِ، وَالاسْتِهْزَاءِ، وَالسُّخْرِيَّةِ، وَكَذَا الْإِعْتِدَاءِ بِالنَّظَرِ فِي بِيوتِ الْآخَرِينَ بِدُونِ إِذْنِهِمْ، وَيَدْخُلُ فِي الْإِيذَاءِ أَيْضاً لَعِبُ الْكُرَةِ بِالْأَفْنِيَّةِ أَمَامَ الْبُيوتِ، فَهِيَ مَصْدَرُ إِيْذَاءِ لِأَهْلِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(ج) رَدَّ السَّلَامِ، وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ رَدَّ السَّلَامِ وَاجِبٌ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾ [النساء: 86]، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْإِبْتِدَاءَ بِالسَّلَامِ سُنَّةٌ يُوجَرُ فَاعِلُهَا، وَالسَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ دُعَاءٌ بِالسَّلَامَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْبَرَكَةِ.

(د) الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، هَذَا هُوَ الْحَقُّ الرَّابِعُ الْمَذْكُورُ فِي الْحَدِيثِ، وَخُصَّ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّ الطَّرِيقَ وَنَحْوَهُ مَظَنَّةٌ وَجُودِ الْمُنْكَرَاتِ فِيهِ.

وَقَدْ تَضَافَرَتْ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةُ عَلَى هَذَا الْمَبْدَأِ الْعَظِيمِ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104].

5- وَرَدَّتْ نُصُوصٌ أُخْرَى تَذَكِّرُ بَعْضَ حَقُوقِ الطَّرِيقِ، وَمِنْهَا: حُسْنُ الْكَلَامِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ، وَإِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، وَإِعَانَةُ الْعَاجِزِ، وَهَدَايَةُ الْخَيْرَانَ، وَإِرْشَادُ السَّبِيلِ، وَرَدُّ ظُلْمِ الظَّالِمِ، جَمْعُهَا الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ:

جَمَعْتُ آدَابَ مَنْ رَامَ الْجُلُوسَ عَلَى الدِّ	طَّرِيقٍ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْخَلْقِ إِنْسَانًا.
أَفْشَ السَّلَامَ، وَأَحْسِنَ الْكَلَامَ وَشَمَّتْ	عَاطِسًا، وَسَلَامًا رَدًّا إِحْسَانًا.
فِي الْحَمْلِ عَاوِنَ، وَمَظْلُومًا أَعْنَ وَأَغِثْ	هَقْمَانَ، أَهْدِ سَبِيلًا، وَاهْدِ خَيْرَانَا.
بِالْعُرْفِ مُرًّا، وَإِنَّهُ عَنِ نُكْرٍ، وَكُفَّ أَدَى	وَعُضَّ طَرْفًا، وَأَكْثَرَ ذِكْرَ مَوْلَانَا (148).

الْأَسْئَلَةُ:

- س1: مَا الْأَصْلُ فِي الطَّرِيقِ، وَالْأَفْنِيَّةُ الْعَامَّةُ ؟
- س2: اذْكُرْ دَلِيلًا عَلَى عَدَمِ جَوَازِ النَّظَرِ لِلْمُحَرَّمَاتِ.
- س3: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَاجِبٌ مِنَ الْوَاجِبَاتِ، اذْكُرْ بَعْضَ فَوَائِدِهِ.
- س4: مَا رَأْيُكَ فِي الْكِتَابَةِ عَلَى الْجُدْرَانِ ؟ وَهَلْ تَدْخُلُ ضِمْنَ إِيْذَاءِ الْآخَرِينَ ؟
- س5: الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى حُرْمَةِ الْمُسْلِمِ، وَضَحَّ ذَلِكَ.
- س6: (صَبَاحُ الْخَيْرِ، وَمَسَاءُ الْخَيْرِ) هَلْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ بِدَايَةِ السَّلَامِ ؟ وَلِمَاذَا ؟

¹⁴⁸ (ينظر: فتح الباري (11/11).

الحديث الثامن

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أنا زعيمٌ ببَيْتٍ في رِضِّ الجنَّةِ لِمَن تَرَكَ المِرَاءَ وإن كان مُحِقًّا، وببَيْتٍ في وَسَطِ الجنَّةِ لِمَن تَرَكَ الكَذِبَ وإن كان مازِحاً، وببَيْتٍ في أعلى الجنَّةِ لِمَن حَسُنَ خُلُقُهُ)) رواه أبو داود بإسنادٍ حَسَنٍ (149).

التعريف بالراوي:

هو الصَّحَابِيُّ الجليل أبو أمامة الباهلي، اسمه: صُدي بن عَجَلان، صاحب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، روى عِلْماً كثيراً، مات سنة إحدى وثمانين، وقيل سنة ست وثمانين، رضي الله عنه وأرضاه (150).

المباحث اللغويّة:

الكلمة	معناها
الرَّعِيمُ:	الضَّامِنُ والكَفِيلُ، ومنه قولُ الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ [يوسف:72].
البيت:	المراد به هنا: القَصْرُ.
رِضُّ الجنَّةِ:	بفتح الراء والباء، والمراد به هنا: أسْفَلُ الجنَّةِ.
المراء:	بكسر الميم، والمراد به هنا: الجدال، يُقال: مارَيْتُهُ: إذا طَعَنْتَ في قوله تزييفاً لِلْقَوْلِ، وتَصْغِيراً لِلْقَائِلِ.
مُحِقًّا:	بضم الميم وكسر الحاء وتشديد القاف، أي: وإن كان الحَقُّ معه فيما يجادل فيه.
الكَذِبُ:	ضِدُّ الصِّدْقِ، وهو الإخبار بخلاف الواقع.

¹⁴⁹ (أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب: في حسن الخلق (150/5)، والطَّبْراني في الكبير (98/8)، ح (7488) وقال ابن القَيِّم في مدارج السَّالِكِينَ (307/2)، رواه الطَّبْراني وإسناده صحيح وبنحوه التُّرمذِي في سننه، كتاب البِرِّ والصِّلَةِ، باب: ما جاء في المراء مِن حديث أنس بن مالك (358/4).

¹⁵⁰ (يُنظر: سير أعلام النبلاء (359/3)، وتهذيب التَّهْذِيبِ (420/4).

الأحكام والتوجيهات:

- 1- الداعية التاجح والمربي الناصح، هو الذي يعرض ما لديه من فوائد وآداب وأخلاق بصورة مرغبة مشوقة حتى يتلقاها السامع بكل شوق وتلهف، فيقبلها قبولاً كريماً، وهكذا كان رسول الله ﷺ، فهو هنا يذكر بعض هذه الضمانات لمن قام بهذه الآداب.
 - 2- اللجنة أعلى ما يطلب الطالبون، وأنفس ما يتنافس فيه المتنافسون، قد أفلح من يسعى إليها، وفاز من يظفر بها، وسعد من يعمل لأجل الحصول عليها، ثمها غايل، وهو سهل لمن سهله الله عليه، والرسول ﷺ يضمنها لمن قام بهذه الأعمال الجليلة.
 - 3- في الجنة درجات كثيرة أعدها الله عز وجل لعباده المؤمنين، وفي الحديث بين الرسول ﷺ درجات لمن تحلى بأحد خصال ثلاث:-
 - (أ) ترك المرء وصاحبه في رضى الجنة، وإنما وعد بهذه الدرجة؛ لأنه ترك الجدل العقيم الذي لا فائدة منه، والذي يصحبه رفع الصوت، وتكلف الحجّة، ويؤجج الشحنة والبغضاء، ولا يوصل إلى الحق المطلوب، والمؤمن الحق هو الذي يتترك هذا الجدل حتى ولو كان يعتقد جازماً أنه على الحق.
 - (ب) ترك الكذب وإن كان مازحاً، وصاحبه في وسط الجنة، وحصلت له هذه الدرجة ببُعده عن الكذب بقوله وفعله، والتزام الصدق، فلا ينطق إلا حقاً وصدقاً، ولا يُخبر إلا بما هو صدق، والكذب خصلة من خصال المنافقين، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان)) (151).والكذب كبيرة من كبائر الذنوب، تبيحته وخيمته، وعاقبته ضارة.
- قال رسول الله ﷺ: ((إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذاباً)) (152).
- هذا الوعيد الشديد للكذب، حتى ولو كان مجرد إضحك الناس، فقد جاء في الحديث: ((ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك القوم، ويل له، ويل له)) (153).

¹⁵¹ رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب: قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ وما ينهى عنه من الكذب، في (10/507)، برقم (6095).

¹⁵² البخاري في صحيحه، الموضوع السابق، رقم (6095).

¹⁵³ رواه أصحاب السنن ما عدا ابن ماجه، ينظر سنن الترمذي، كتاب الزهد (4/557)، وقال فيه: " حديث حسن "، وقال ابن حجر رحمه الله: (إسناده قوي)، يُنظر: سبل السلام (4/398).

- ومن أشد أنواع الكذب: الكذب على الله تعالى أو على رسوله ﷺ، وكذا الكذب المتعلق بالأموال.
- (ج) حُسن الخلق وصاحبه في أعلى الجنة، ويحصل عليه من كانت صفاته حميدة، وخلقُه حسناً، وتعامله كريماً، مُقتدياً بالرسول ﷺ، الذي مدحه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].
- وحسن الخلق أكثر الأعمال التي ترفع قدر المسلم عند الناس في الدنيا، وعند الله في الآخرة، روى الترمذي رحمه الله عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حُسن الخلق، وإن الله يُبغض الفاحش البذيء)) (154).
- 4- العلاقات الاجتماعية، والروابط بين الناس، ينبغي أن تسودها الألفة والمحبة والأخوة والمودة، وأن تكون خالية من الأحقاد والضغائن، والغل والحسد، هكذا يريد الإسلام ويسعى إليها، وعليه فالمسلم قلبه أبيض نقي خالٍ من الأمراض والشوائب التي تُعكر صفو هذه العلاقات.
- 5- درء المفسد مُقدم على جلب المصالح في شريعة الله، فكلُّ كلامٍ أو جدالٍ أو فعلٍ يُؤدِّي إلى الوقوع في مفسدة، يجب تركه والابتعاد عنه (155).

الأسئلة:

- س1: ما معنى الكلمات الآتية: (زعيم، رضى، المرء) ؟
- س2: من صفات المؤمن: الخلق الحسن، ما ثمرة ذلك ؟
- س3: اذكر فائدتين من فوائد الحديث.
- س4: (همّة المسلم عالية) وضح المراد بهذه الجملة من خلال دراستك للحديث.
- س5: زميلك أخطأ عليك بكلمة خاطئة، ما موقفك منه ؟
- س6: مثل للقاعدة الجلية: درء المفسد مقدم على جلب المصالح؟

¹⁵⁴ (أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في حسن الخلق (4/362)، وقال: " حديث حسن صحيح "

¹⁵⁵ (يُنظر في القاعدة كتاب الأشباه والنظائر للسُّبُوطِي (ص 87)، والوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية للدكتور محمد صدقي البورنو

الحديث التاسع

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كنت خلفَ رسولِ الله ﷺ يوماً، فقال: ((يا غلام! إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح (156).

التعريف بالزاي:

سبق التعريف به في الحديث الأول.

المباحث اللغوية:

معناها	الكلمة
يا غلام: هو: الصبي الصغير، ويُطلق على الشخص من حين ولادته إلى أن يبلغ سنّ الشباب.	يا غلام:
يعني احفظ حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه، وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا يجاوز ما أمر به وأذن فيه إلى ما نهى عنه.	احفظ الله:
المعنى أن يحفظه الله في مصالح دُنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله، وأن يحفظه في دينه وإيمانه فيحفظه في حياته من الشبهات المضلّة، ومن الشهوات المحرّمة، ويحفظه عند موته فيتوفاه على الإيمان والإسلام.	يحفظك:
معك في كلِّ أحوالك بالنصر والتوفيق والسداد.	تجده تجاهك:
هذه مُوافقة لما يقول المسلم في كلِّ ركعةٍ من ركعات صلاته: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5].	إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله:

¹⁵⁶ (أخرجه الترمذي في جامعِهِ، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ، باب: (59)، (667/4)، برقم (2516)، ورواه الإمام أحمد في المسند

الأحكام والتوجيهات:

- 1- قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: هذا الحديث يَتَضَمَّنُ وصايا عَظِيمَةً، وقواعد كُليَّةً مِنْ أَمَمٍ أمور الدين، حتى قال بعض العلماء: تَدَبَّرْتَ هذا الحَدِيثَ فَأَدَّهَشَنِي، وَكِدْتَ أَطِيشُ، فوا أَسْفًا مِنَ الجَهْل بِهذا الحَدِيثِ وَقَلَّةِ التَّفَهُمِ لِمَعْنَاهُ (157).
- 2- اهْتِمَامِ النَّبِيِّ ﷺ بِتَوْجِيهِ أُمَّتِهِ، وَتَنْشِئَتِهَا عَلَى الْعَقِيدَةِ السَّليمةِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالسُّلُوكِ الْمُسْتَقِيمِ، فَتُلاحِظُ هنا أَنَّهُ حينَ رَكِبَ مَعَهُ هذا العُلامَ الصَّغِيرَ لَقَنَهُ كَلِماتٍ قَلِيلَةً الْأَلْفَاظِ، كَثِيرَةً الْمَعَانِي، لها آثارها وَنَتائِجُها الطَّيِّبَةُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ.
- 3- على المُرَبِّيِّ - أباً أو مُعلِّماً أو غيرهما - أن يَسْتَغَلَّ الْمُناسباتَ لِيُهدِيَ الوصايا النَّافِعَةَ لِمَنْ يَتُوم على تَرْبِيَّتِهِمْ، وَأَنْ يَسْتَعْمِلَ الْأَسْلُوبَ الْحَسَنَ، وَالطَّرِيقَةَ الْجَيِّدَةَ لِإِيصالِ هذه الوصايا، مثل: التَّشْويقِ لِلْمَعْلُومَةِ قَبْلَ ذِكْرِها، كما فَعَلَ الرَّسُولُ ﷺ.
- 4- على الْمُؤْمِنِ مَسْؤُولِيَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي هذه الحِياةِ، ذلِكُمْ هو حِفْظُ اللَّهِ تَعَالَى، الْمُتَمَثِّلِ فِي الْقِيامِ بِأوامِرِهِ وَاجْتِنابِ نَواهِيهِ وَزِواجِرِهِ، وَالوَقُوفِ عِنْدَ حُدُودِهِ فلا يَتَجَاوِزُها، وَأَنْ يَسْتَصْحِبَ هذه الخُطُوطَ العَرِيبَةَ فِي جَمِيعِ شُؤُونِ حِياتِهِ.
- 5- وَرَدَتْ أَعْمالٌ خُصَّتْ مِنَ الشَّارِعِ الْحَكِيمِ بِالْأَمْرِ، أو بِالْحَثِّ على حِفْظِها، فعلى سبيلِ المِثالِ:
 - (أ) الصَّلَاةُ جاءَ فِيها قولُهُ تَعَالَى: ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى ﴾ [البقرة: 238].
 - (ب) الطَّهارةُ وَالوُضوءُ، روى الإمامُ أحمدُ وابنُ ماجه، وَالْحَاكِمُ، وَغيرِهِمْ، عَن ثوبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: ((اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَعَلِمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْوُضوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ)) (158).
 - (ج) الْأيمانُ، قالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ [المائدة: 89].
 - (د) الجِوارِحُ، مثلُ: اللِّسانِ، وَالْفَرْجِ، روى الْحَاكِمُ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: ((مَنْ حَفِظَ ما بَيْنَ لِحْيَتِهِ، وَما بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ)) (159).

¹⁵⁷ يُنظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب (462/1)، شرح الحديث رقم (19).

¹⁵⁸ (رواد الإمام أحمد في مسنده بتحقيق أحمد شاكر (381/6)، وابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة، باب: المحافظة على

الوضوء (101/1)، ورواه وصححه الحاكم على شرط الشيخين.

¹⁵⁹ (رواد الحاكم في المستدرک (357/4)، وصححه، ووافقه الذهبي، وأصل الحديث في البخاري، لكن بلفظ: (مَنْ يَضْمَنُ لِي

ما بين لحيته وما بين رجليه أضمن له الجنة)، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: حفظ اللسان، ح (6474).

6- أَنْ مَنْ حَفِظَ اللَّهَ وَرَاعَاهُ فِي جَمِيعِ شُؤُنِ الْحَيَاةِ، تَكْفَلَ اللَّهُ بِحَفِظِهِ فِي دُنْيَاهُ، فَيَحْفَظُهُ فِي بَدْنِهِ، وَفِي وَكَلَدِهِ، وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ.

وعليه: فَمَنْ حَفِظَ اللَّهَ فِي صِغَرِهِ وَشَبَابِهِ وَحَالَ قُوَّتِهِ وَصِحَّتِهِ حَفِظَهُ اللَّهُ فِي حَالِ كِبَرِهِ وَضَعْفِ قُوَّتِهِ، وَمَرَضِهِ، وَمَتَّعَهُ بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ وَعَقْلِهِ.

وكما أَنَّهُ يَحْفَظُهُ فِي دِينِهِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الشُّبُهَاتِ الْمُضِلَّةِ الَّتِي يَزِيغُ بِهَا عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَمِنَ الْوُقُوعِ فِي الشَّهَوَاتِ الْحَرَمَةِ الَّتِي يُزَيِّنُهَا الشَّيْطَانُ وَيُسَهِّلُ لَهُ الْوُقُوعَ فِيهَا.

7- مِنْ نَتَائِجِ حِفْظِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا حِفْظَهُ لِعِبْدِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ مِنَ الزَّبْغِ وَالْهَلَاكِ، فَيَتَوَقَّاهُ عَلَى شَهَادَةِ الْحَقِّ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ كَانَتْ آخِرَ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا دَخَلَ الْجَنَّةَ.

وكذا يَحْفَظُهُ فِي قَبْرِهِ، وَمَا يَأْتِي بَعْدَهُ مِنَ الْحَشْرِ، وَأَحْوَالِ الْآخِرَةِ، فَاحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، وَاحْفَظْهُ تَجِدْهُ تَجَاهَكَ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوَعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيزٍ ﴿٣٢﴾ [ق: 31-32].

8- مِنْ ثَمَرَاتِ حِفْظِ اللَّهِ تَعَالَى: الْأَمْنُ مِنَ الْخَوْفِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه: 46]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الْغَارِ عِنْدَ هِجْرَتِهِمَا إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ: ((مَا ظَنُّكَ بِأَنْتَ وَاللَّهُ تَالِثُهُمَا، لَا تَخْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)) (160).

9- الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مُتَقَلِّبٌ بَيْنَ الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَالصَّحَّةِ وَالْمَرَضِ، وَالقُوَّةِ وَالضَّعْفِ، وَالشَّبَابِ وَالْكِبَرِ، وَهَكَذَا، فَكُنْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى فِي غِنَاكَ وَصِحَّتِكَ وَقُوَّتِكَ وَشَبَابِكَ، يَكُنْ مَعَكَ فِي حَالِ فَقْرِكَ وَمَرَضِكَ وَضَعْفِكَ وَكِبَرِكَ.

10- مِنْ أَسْبَابِ حِفْظِ اللَّهِ تَعَالَى:

(أ) الْقِيَامُ بِالْفَرَائِضِ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، كَأَدَاءِ الصَّلَاةِ فِي وَقْتِهَا جَمَاعَةً فِي الْمَسْجِدِ.

(ب) التَّقَرُّبُ بِمَا اسْتَطَاعَ مِنَ النَّوَافِلِ، كَالسُّنَنِ الرَّاتِبَةِ، وَالوَثْرِ، وَصِيَامِ بَعْضِ الْأَيَّامِ مِنَ الشَّهْرِ أَوْ السَّنَةِ.

(ج) الدُّعَاءُ لِيلاً وَنَهَاراً، وَسُؤَالِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَحْفَظَهُ دَائِماً وَأَبْداً فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ.

(د) صُحْبَةُ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ يُقَرِّبُونَكَ مِنْ مَوْلَاكَ وَيُشَجِّعُونَكَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَيَحْفَظُونَ عَلَيْكَ دِينَكَ.

(هـ) طَلَبُ الْعِلْمِ النَّافِعِ الَّذِي تَعْرِفُ بِهِ رَبَّكَ وَخَالِقَكَ، وَأَوَامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ.

¹⁶⁰ (رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب المهاجرين (8/7).

11- الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، وَقَدْ نَدَبَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾
 الآيَةُ [غافر: 60]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا ﴾ [البقرة: 186].

وَالدُّعَاءُ ثَمَرَاتٌ، مِنْهَا:

(أ) سُؤَالَ اللَّهِ، وَالذَّلَّةَ لَهُ، وَإِظْهَارَ الْحَاجَةِ وَالْفَقْرِ إِلَيْهِ.

(ب) تَلْيِيقَ لِحَاجَاتِ الدَّاعِي مِنْ جَلْبِ النَّفْعِ وَدَفْعِ الضَّرِّ.

(ج) الْأَجْرَ الْعَظِيمَ، وَالنَّوَابِ الْجَزِيلَ، وَمَعْفِرَةَ الذُّنُوبِ، وَتَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ.

(د) الْأَمْنَ وَالْأَمَانَ، وَاسْتِشْعَارَ مَعِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى.

(ذ) تَحْقِيقَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنِّي أَتَاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: 5].

12- مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يُسْتَعَانَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا يُسْتَعَاثُ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا يُلْجَأُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ، وَلَا يُصْرَفُ أَيُّ نَوْعٍ مِنَ الْعِبَادَةِ إِلَّا لِلَّهِ كَائِنًا مَنْ كَانَ، وَلَا تَتَحَقَّقُ الْإِجَابَةُ وَنَيْلُ الْمَقْصُودِ إِلَّا بِهَذَا الْإِحْلَاصِ الْمَتَجَرِّدِ لِلَّهِ تَعَالَى.

13- مَا يُصِيبُ الْعَبْدَ فِي دُنْيَاهُ مِمَّا يَضُرُّهُ أَوْ يَنْفَعُهُ، فَكُلُّهُ مُقَدَّرٌ عَلَيْهِ، وَلَا يُصِيبُ الْعَبْدَ إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ مِنْ مَقَادِيرِ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ السَّابِقِ، وَلَوْ اجْتَهَدَ عَلَى ذَلِكَ الْخَلْقُ كُلَّهُمْ جَمِيعًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة: 51]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ [الحديد: 22].

14- الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَلَا يَعْنِي هَذَا الْاسْتِسْلَامَ لِلشُّبُهَاتِ وَالرَّغَبَاتِ وَالْحَوْضِ فِي الْأَنْحِرَافَاتِ وَالضَّلَالَاتِ، فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الَّذِي أَمَرْنَا بِالْإِيمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ هُوَ الَّذِي أَمَرْنَا بِالْعَمَلِ وَالْجِدِّ وَالْإِنْتِاجِ، رَوَى مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((اَعْمَلُوا فَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ)) (161).

الْأَسْئَلَةُ:

س1: قَالَ ﷺ: ((احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ)) وَصَّحِ الْمُرَادُ بِهَذِهِ الْجُمْلَةُ ؟

س2: هُنَاكَ أَسْبَابٌ مُعَيَّنَةٌ لِحَفْظِ اللَّهِ تَعَالَى، اذْكُرْ ثَلَاثَةً مِنْهَا ؟

س3: مَنْ يَحْفَظُ اللَّهَ يَجِدُ ثَمَرَاتَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، تَحَدَّثَ عَنْ ذَلِكَ ؟

¹⁶¹ (رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْقَدَرِ، بَابُ: خَلْقِ الْآدَمِيِّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ (12/150) (شَرْحُ النَّوَوِيِّ).

س4: قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((وَاَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ)) هل يَعْنِي هَذَا أَنْ لَا يَسْتَعِينُ الْإِنْسَانُ بِالْآخِرِينَ فِي حَاجَاتِهِ، وَضَحَّ ذَلِكَ بِالتَّفْصِيلِ؟

س5: رَجُلٌ جَالِسٌ فِي بَيْتِهِ، وَلَا يَعْمَلُ، وَيَقُولُ رِزْقِي يَأْتِينِي وَأَنَا هُنَا، مَا رَأَيْكَ فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ؟
مُدْعَمًا لَهُ بِالذَّلِيلِ؟

س6: رَجُلٌ مَرِيضٌ، وَيَتَّقِلُ لِعِلَاجِ مَرَضِهِ مِنْ مُسْتَشْفَى إِلَى آخَرَ كَيْفَ تَرَى تَصَرُّفَهُ هَذَا؟

الثَّقَافَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ

التدخين

كيف يُعرف حكم الأشياء الحادثة؟

جعل الله الدين الإسلامي خاتم الأديان، وأودع فيه أحسن تشريع وأكمل، وحفظ الله لهذا الدين أساسه الذي يُبنى عليه، وهو الكتاب والسنة، وجعله صالحاً لكل زمان ومكان، فهو دينه الذي ارتضاه للبشرية كلها.

ولضرورة بقاء هذا الدين، فقد نوع الله تعالى أدلته الدالة على أحكامه وتشريعاته وهي في الجملة

نوعان:-

- 1- أدلة خاصة، تدل على شيء بعينه، كالتصوص الواردة في أحكام الطهارة، والصلاة، والحج، وغير ذلك.
- 2- أدلة عامة، هي في حقيقتها قواعد عامة يدخل فيها من الأحكام ما لا حصر له، وهذه قد تكون آيات، كقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ الآية [المائدة: 2]، أو أحاديث، كقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا ضرر ولا ضرار))⁽¹⁶²⁾ ومن خلال هذه القواعد يُعرف حكم الأشياء الحادثة بعد عهد النبوة، ومنها: التدخين.

حكم التدخين

حكمه: حرام، والأدلة على ذلك ما يلي:

- 1- من القواعد الشرعية المقررة أن الله تعالى أباح لعباده الطيبات، وحرّم عليهم الخبائث، ودليل ذلك قوله تعالى في وصف رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَيَجْلُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: 157]. ولا يرتاب عاقل في دُحُول الدُّخَانِ في الخبائث؛ لما يُسبِّبه من أضرارٍ معلومةٍ يأتي بيانها.
- 2- ومن المقاصد الشرعية المقررة حفظ النفس، وعدم الإضرار بها بأي شكل من الأشكال، وأدلة ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ الآية [البقرة: 195]، ولا شك أن في التدخين أضراراً كبيرة على النفس، فهو يسوّفها إلى أمراض كثيرة، ويؤدّي بها إلى التلّف والهلاك بإجماع الأطباء المعتبرين، وستأتي الإشارة إلى شيءٍ من ذلك إن شاء الله تعالى، ولذلك يُسمّى (القاتل البطيء)، ويوصف بأنه: (انتحار بطيء).

(162) رواه أحمد، وابن ماجه، وغيرهما، وقد سبق تحريجه في موضوع: (الطاعة).

3-

وَمِنَ الْمَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ الْمَقَرَّرَةِ: حِفْظُ الْعَقْلِ، وَعَدَمُ الْإِضْرَارِ بِهِ بِأَيِّ شَكْلٍ مِنَ الْأَشْكَالِ، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الشَّرِيعَةُ تَعَاطِي الْمُسْكِرَاتِ بِأَنْوَاعِهَا.

وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الدُّخَانَ مِنَ الْمَقْتَرَاتِ، يَظْهَرُ هَذَا جَلِيًّا عِنْدَ مَنْ يَسْتَعْدِمُونَهُ أَوَّلَ الْأَمْرِ، أَوْ مَنْ انْقَطَعَ عَنْهُ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ، أَوْ مَنْ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي أَدَمَّنَ عَلَيْهِ لَا يَكَادُ يَحْسُ بِذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ؛ لِأَجْلِ الْإِعْتِيَادِ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ كَلَّمَا مَرَّ بِهِ زَمَنٌ يَحْسُ أَنَّهُ بِحَاجَةٍ إِلَى زِيَادَةِ فِي الْكَمِّيَّةِ حَتَّى تُؤَثِّرَ فِي مِزَاجِهِ.

4-

وَمِنَ الْمَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ الْمَقَرَّرَةِ: حِفْظُ الْمَالِ، وَعَدَمُ إِتْفَاقِهِ إِلَّا فِيمَا يَعُودُ عَلَى الْمَرْءِ بِالنَّفْعِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِيرًا﴾ [الإسراء: 26].

وَالْتَبَدِيرُ: مَا يُنْفَعُهُ الْإِنْسَانُ فِي غَيْرِ طَاعَةٍ وَلَا مَنْفَعَةٍ.

عَنِ الْمَغْبِرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عَقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ)) (163).
وَلَا يَشُكُّ عَاقِلٌ أَنَّ فِي إِتْفَاقِ الْأَمْوَالِ عَلَى التَّدْحِينِ إِضَاعَةٌ لَهَا فِيمَا لَا فَائِدَةَ مِنْهُ، بَلْ هُوَ ضَرَرٌ مَخْضٌ وَسِيَّاقِي مَزِيدٍ إِشَارَةٌ إِلَى أَضْرَارِهِ الْمَالِيَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

5-

مِنَ الْقَوَاعِدِ الشَّرْعِيَّةِ الْمَقَرَّرَةِ مَا نَصَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: ((لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)) (164).
فَالضَّرَرُ مُنْتَفٍ فِي الشَّرِيعَةِ، وَالتَّدْحِينُ مُشْتَمِلٌ عَلَى أَضْرَارٍ مُتَنَوِّعَةٍ، يُمْكِنُ إِجْمَالُهَا فِيمَا يَلِي:

(أ) أَضْرَارٌ دِينِيَّةٌ: وَهِيَ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: أَنَّهُ يَتَأَدَّى بِرَائِحَتِهِ الْمَلَائِكَةُ، وَالْمُصَلِّونَ، وَيُثْقَلُ عَلَى الْمُدْحَنِ شَهْرُ الصَّوْمِ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْتَرِينَ لِلتَّدْحِينِ فَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يَأْنَسُ بِصَوْمِهِ، وَأَمَّا صِيَامُ النَّافِلَةِ فَلَا يَكَادُ يَعْرِفُهُ؛ لِأَنَّهُ يَجْرُمُهُ مِنْ شَهْوَتِهِ، وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَا يَكَادُ يَفْرَحُ بِمَجَالَسَةِ أَهْلِ الْخَيْرِ، أَوْ السَّفَرِ مَعَهُمْ، أَوْ صُحْبَتِهِمْ، وَهَذَا يُفَوِّتُهُ خَيْرًا كَثِيرًا.

(ب) أَضْرَارٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ: مِنْهَا: أَنَّهُ يُؤْذِي الْآخِرِينَ بِرَائِحَتِهِ، وَيُفْسِدُ عَلَيْهِمْ مَجَالِسَهُمْ وَاجْتِمَاعَاتِهِمْ، وَتَشْتَدُّ أذْيَتُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ بُدٌّ وَمَهْرَبٌ، كَحَالِ رُكُوبِ الطَّائِرَةِ، أَوْ الْقِطَارِ، وَيَسْبَبُ التُّفْرَةَ وَالتَّبَاغُضَ، بَلْ وَقَطَعَ الْعَلَائِقَ وَالصَّلَاتِ، وَتَرَكَ الزِّيَارَاتِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

(ج) أَضْرَارٌ مَادِيَّةٌ: مِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْفَرْدِ، وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأُمَّةِ وَالْوَطَنِ.

أَمَّا الْأَضْرَارُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْفَرْدِ، فَإِنَّهُ يُضَيِّعُ مَالَهُ بِلَا مَرْدُودٍ، وَيُفْسِدُ ثِيَابَهُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ.

163 (متفق عليه، صحيح البخاري، في مواضع منها: كتاب الاستقراض، باب: ما ينهى عن إضاعة المال (68/5)، ح (2408)

ومسلم في كتاب الأفضية، باب: النهي عن كثرة المسائل (1340/3)، ح (2715).

164 (سبق تخريجه في موضوع: (الطاعة).

وأما الأضرار المتعلقة بالأمة والوطن، فتظهر أضراره المادية في كثرة الحرائق التي يتسبب فيها المدخنون، وفي الأمراض الناتجة بسببه، وما تصرفه الدولة في علاجها من أموال طائلة، كما أن التدخين قد يؤدي إلى المخدرات التي تدمر المجتمع، وتضعف قوته وإنتاجه وما يتبع ذلك أيضاً من علاجات ومصحات وغيرها. (د) أضرار تربوية: وذلك أن من أهم طرق التربية (التربية بالقدوة)، والأب المدخن ومثله المعلم مفتنع بضرب التدخين، وهو عندما ينهى ولده عن هذه العادة السيئة فإن استجابة الولد ستكون ضعيفة؛ لما يرى من مخالفة القول للفعل، وهذا بدوره يؤثر على جوانب التربية الأخرى.

(هـ) أضرار صحية: وهي كثيرة جداً، منها:

- 1- أنه سبب رئيس لمرض السرطان، خاصة سرطان الفم، واللسان، والبلعوم، والحنجرة، والمريء، والمعدة، وسرطان الرئة، والدم، وغيرها.
 - 2- يسبب آلاماً في الحلق، وبحة مزمنة، وضعفاً في حاستي الشم والذوق.
 - 3- يسبب جلطة القلب والدماغ.
 - 4- يسبب الشلل الربوي.
 - 5- يشوه الوجه، وتظهر على صاحبه زُرقة أو صُفرة تعم بدنه، ويشوه الأسنان والشفة.
 - 6- تقلب المزاج، وكثرة القلق، وسرعة الغضب.
 - 7- تتكدس السموم في الكبد، فيشعر المدخن بالتعب والإرهاق لأي مجهود؛ لأن الكبد لا تستطيع حجز السموم الكثيرة، فلذلك يُضعف عن القيام بالأنشطة الرياضية.
- بعد هذا كله، فإنه لا يشك عاقل في تحريم الدخان، وأنه يجب عليه البعد عنه، وعن أسباب الوقوع فيه، ويجب على من هو واقع فيه أن يتخلص منه، ويجتهد في الإقلاع عنه. وما كان مثل الدخان أو أشد منه فإنه داخل في حكمه. وإذا علمنا تحريم الدخان، فإنه يحرم أيضاً بيعه، والاتجار به، وكل ما من شأنه أن يُسهل أو يُعين على تناوله، وعلى ذلك عِدَّة أدلة منها عموم قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾... الآية [المائدة: 2].
- وقوله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه)) (165).
- من أسباب الوقوع فيه:

165 (أخرجه أبو داود، كتاب البيوع، باب: في ثمن الخمر والميتة (2/302)، ح (3488)، والبيهقي، كتاب البيوع، باب: تحريم ما يكون نجساً لا يجلب أكله (13/6)، وصححه ابن القيم في زاد المعاد (746/5).

- 1- ضَعْفُ الإِيمَانِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَوَسْوَاسَةَ الشَّيْطَانِ لَهُمْ بِفِعْلِهِ، وَهُوَ الْحَرِيصُ عَلَى إِغْوَاءِ بَنِي آدَمَ وَإِقَاعِهِمْ فِي الْحَرَامِ.
- 2- غَلْبَةُ الْهَوَى عَلَى الْعَقْلِ، وَالْجَهْلُ إِذَا بِحُكْمِهِ أَوْ ضَرَرِهِ، وَالْبَعْضُ يُفْتِي نَفْسَهُ بِجَوَازِهِ، أَوْ يَبْحَثُ عَمَّنْ يُفْتِيهِ بِالْجَوَازِ مَنْ لَا يَعْتَمِدُ عَلَى عِلْمِهِ.
- 3- صُحْبَةُ الْمَدْخِنِينَ، وَإِعْرَاءُ أَصْحَابِ السُّوءِ بِذَلِكَ، وَزَعْمُهُمْ أَنَّهُ رُجُوعَةٌ وَكَمَالٌ، فَيَعْتَرِّ الْجَاهِلُ بِكَلَامِهِمْ.
- 4- الدَّعَايَةُ الْقَوِيَّةُ لَهُ فِي بَعْضِ وَسَائِلِ الإِعْلَامِ الْمَشْبُوهَةِ، وَهَذَا نُشِيرُ إِلَى مَوْقِفِ الدَّوْلَةِ السُّعُودِيَّةِ، الْمُبَارَكَةِ، إِذْ مَنَعَتْ الدَّعَايَةَ لِلتَّدْخِينِ فِي جَمِيعِ وَسَائِلِهَا الإِعْلَامِيَّةِ.
- 5- ضَعْفُ الشَّخْصِيَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الصَّغَارِ أَوْ الْجَهْلَةَ يَحْسُ فِي نَفْسِهِ بِالنَّقْصِ، وَيُظَنُّ أَنَّ فِي شُرْبِهِ كَمَالَ، أَوْ أَنَّهُ مِنْ مَظَاهِرِ الرُّجُوعَةِ.
- 6- كَثْرَةُ اسْتِعْمَالِهِ، خَاصَّةً مِنَ الْكِبَارِ (آبَاءِ، وَمُعَلِّمِينَ، وَغَيْرِهِمْ) مِمَّا يَجْرِي الصَّغَارَ عَلَيْهِ، وَيُنْدَفِعُونَ لِتَقْلِيدِ آبَائِهِمْ وَمُعَلِّمِيهِمْ الَّذِينَ يُعْتَبِرُونَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ قُدُورَةَ سَيِّئَةٍ.
- 7- حُبُّ الإِطْلَاعِ وَالتَّجَرُّبَةِ.
- 8- التَّفَكُّكُ الأَسْرِي.
- 9- عُزُوفُ الْكَثِيرِينَ عَنِ نُصْحِ مِثْلِ هَؤُلَاءِ الْمَدْخِنِينَ وَتَعْرِيفِهِمْ بِأَضْرَارِهِ.
طَرِيقُ التَّخْلُصِ مِنْهُ:
- 1- اسْتِشْعَارُ الْمُسْلِمِ أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ مُحَرَّمٌ، وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ تَرْكُهُ إِرْضَاءً لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ التَّوْبَةِ الْوَاجِبَةِ.
- 2- الاسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، مَعَ بَدْلِ الأَسْبَابِ، وَالدُّعَاءُ بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ.
- 3- العَزِيمَةُ الصَّادِقَةُ الْجَازِمَةُ عَلَى الإِقْلَاعِ عَنْهُ، وَعَدَمُ التَّرَدُّدِ.
- 4- تَرْكُ مَجَالَسَةِ الْمَدْخِنِينَ، وَتَغْيِيرُ هَؤُلَاءِ الرُّفْقَةَ بِغَيْرِهِمْ.
- 5- عَدَمُ الْإِلْتِفَاتِ لِأَقْوَالِ الْمُتَّبِطِينَ وَعَمَزِهِمْ وَلَمَزِهِمْ.
- 6- عَدَمُ الْإِلْتِفَاتِ لِلْوَهْمِ الْقَائِلِ بِعَدَمِ إِمْكَانِيَّةِ تَرْكِهِ؛ لِأَنَّهُ وَهْمٌ فَاسِدٌ، فَمَا أَكْثَرَ مَنْ تَرَكَ هَذِهِ الْعَادَةَ السَّيِّئَةَ.
- 7- اسْتِشْعَارُ أَضْرَارِهِ عَلَى النَّفْسِ وَالْمَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا تَقَدَّمَتْ الإِشَارَةُ إِلَيْهِ.

8- قَطَعَهُ مُبَاشِرَةً فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ قَبْلَ تَمَكُّنِهِ، وَالْأَوَّلَى قَطَعَهُ بَدُونَ تَدْرُجٍ؛ لِأَنَّهُ أَنْفَعُ وَأَصْلَحُ، وَتَذَكُّرُ حَالِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حِينَ حُرِّمَتِ الْحَمْرُ، فَقَدْ تَرَكَوْهَا مُبَاشِرَةً، وَقَالُوا: انْتَهَيْنَا رَبَّنَا. (166).

9- يَحْتَاجُ الْمُسْلِمُ إِلَى الصَّبْرِ وَالْمَصَابِرَةِ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى يَتَعَوَّدَ عَلَى الْحَالَةِ الْجَدِيدَةِ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّهَا فَتْرَةٌ يَسِيرَةٌ قَدْ يَحْسُنُ فِيهَا بَعْضُ الْأُمَمِ، وَسُرْعَانَ مَا تَزُولُ.

وَأَخِيرًا فَمَا أَجْمَلَ مَا قَالَهُ بَعْضُ النَّاسِ: إِنَّ شَرَابًا لَيْسَ فِي أَوَّلِهِ (بِسْمِ اللَّهِ)، وَلَا فِي آخِرِهِ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ) لَا خَيْرَ فِيهِ.

الْأَسْئَلَةُ:

- س1: كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى مَعْرِفَةِ حُكْمِ الْأَشْيَاءِ الْحَادِثَةِ بَعْدَ عَصْرِ النُّبُوَّةِ؟
- س2: اذْكُرْ ثَلَاثَةً مِنَ الْأَدِلَّةِ الْعَامَّةِ، وَبَيِّنْ كَيْفَ يُؤَخَذُ مِنْهَا حُكْمُ التَّدْخِينِ.
- س3: إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ صَدِيقًا لَكَ ابْتَلَى بِعَادَةِ التَّدْخِينِ، فَمَاذَا أَنْتَ صَانِعٌ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ؟
- س4: بَيِّنْ أَثَرَ التَّدْخِينِ فِي إِضْعَافِ عَمَلِيَّةِ التَّرْبِيَةِ.

الحركة الصهيونية (167)

تعريفها:

الصهيونية: كحركة سياسية تهدف إلى جمع اليهود ولم شملهم وتهجيرهم إلى فلسطين، لتأسيس دولة يهودية. والصهيونية كحركة دينية فكرية تهدف إلى تمكين العنصر اليهودي من تملك لأرض فلسطين، وقهر لجيرانها الأعداء، وتركيز لسلطة العالم الروحية والحضارية والفكرية في صهيون. وهي بمعناها العام: (حركة سياسية تستمد أصولها من الفكر الصهيوني التابع من عقائد التوراة وشرائع التلمود). (168)

الفرق بين الصهيونية والماسونية:

الصهيونية قرينة الماسونية، إلا أن الصهيونية يهودية بحتة، في شكلها وأسلوبها، ومضمونها وأشخاصها، وتخدم أهداف اليهود بطريق مباشر، فهي الجهاز التنفيذي الرسمي لليهودية العالمية. أما الماسونية فهي يهودية مبطنة، تُظهر شعارات إنسانية عامة، وقد ينصوي تحت لوائها غير اليهود. وهي حركة علمانية إلحادية سرية، تخدم اليهود بطريق غير مباشر، فهي القوة الخفية التي تهيئ الظروف والأوضاع لليهود، ولذلك تستخدمها الصهيونية لتحقيق أهدافها.

167) الصهيونية: نسبة إلى جبل صهيون في القدس بفلسطين، وهو يكسر الصّاد وسكون الهاء، وفتح الباء. (معجم بلدان فلسطين).

168) انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، د. إسماعيل الفاروقي (ص 7).

تاريخ الصهيونية

هي فكرة قديمة، بدأ تاريخها بتاريخ اليهود (169).

ولكن بدأ ظهور الصهيونية الحديثة في القرن السابع عشر الميلادي، وفي القرن التاسع عشر ظهرت الصهيونية علناً إلى العالم كحركة سياسية تدعو إلى تجميع اليهود في وطن خاص بهم، وظهر ((هيرتزل)) كزعيم لهذه الحركة، وبقيادته عقد مؤتمر ((بال)) بسويسرا سنة 1897 م.

أسس الفكر الصهيوني:

- 1- اليهود شعب الله المختار، فأرواح بني إسرائيل جزء من الله، والأرواح الأخرى أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات.
- 2- الدنيا ملك للإسرائيلي، ومن حقه أن يتسلط وتكون له السيادة على العالم؛ لكونه الشعب المختار لدى الله على كل بني البشر.
- 3- فلسطين هي الهدف الأساس لليهود، وهي نقطة الارتكاز التي تبدأ منها سيطرتهم على العالم، ففيها يجب أن تقوم دولتهم؛ لأنها أرض الميعاد.
- 4- أن اليهود في شتى أنحاء العالم يمثلون شعباً واحداً، ينتمي إلى أصل واحد، وأن هذا الأصل مرجعه إلى أرض فلسطين، ومن ثم يجب اعتبار يهود العالم أعضاء في الجنسية الإسرائيلية (170).

أهداف الحركة الصهيونية:

- 1- إثارة الروح القتالية عند اليهود، والعصبية الدينية والقومية لهم، للتصدي للأديان والأمم والشعوب. (171)
- 2- سيطرة اليهود على العالم، والمنطلق لذلك هو إقامة حكومتهم على أرض الميعاد التي تمتد من نهر النيل إلى نهر الفرات (172).
- 3- إشعال نار الخصومة الحاقدة بين القوى لتتصارع، وإشعال نار الحرب بين الدول؛ لتضعف كل الدول وتقوم دولتهم (173).

169 (الصهيونية: عمر رشدي (ص 22).

170 (الإرهاب والعنف في الفكر الصهيوني، د. إسماعيل أحمد ياغي (ص 11-16).

171 (الموجز في الأديان، د. ناصر العقل، د. ناصر القفاري (ص 16).

172 (الموسوعة الميسرة (ص 333).

173 (الموسوعة الميسرة (ص 333).

مؤتمر بال، بسويسرا:

افتتح هذا المؤتمر هرتزل سنة 1897 م ويمكن أن نُلخِّص قرارات المؤتمر فيما يلي:

- 1- وَضَع هذا المؤتمر برنامج الحركة الصُّهيوئِيَّة التي تَمَثِّل في استِعادة أرض (مملكة إسرائيل) لحدودها التاريخيَّة، وإعادة تَكوين الشَّعب اليَهُودِيّ وطَنه القَدِيم.
 - 2- وَضَع أُسس المنظَّمة الصُّهيوئِيَّة العالَمِيَّة.
 - 3- أوصى المؤتمر بالتدابير التَّالية لِتحقيق الأهداف الصُّهيوئِيَّة:
 - (أ) تنمية حركة الاستعمار اليَهُودِيّ في فلسطين بِطَرِيقَة عَمَلِيَّة مُنظَّمة.
 - (ب) إيقاظ الوَعِي القُومِي بين يهود العالم.
 - (ج) القيام بالسَّعي لدى الحكومات المِختلِفة لتأييد كِفاح اليهود؛ لِتحقيق أهداف الحركة الصُّهيوئِيَّة.
 - (د) تَنْظِيم العنصر اليَهُودِيَّة، وتوثيق الرُّوابط بينها بإنشاء المؤسَّسات المحليَّة والدَّوليَّة وفقاً للقوانين المرعيَّة في الدُّول المِختلِفة.
- وفي هذا المؤتمر وَضَع شعار العَلم اليَهُودِيّ، والنَّشيد القُومِيّ اليَهُودِيّ، وتأسَّست الهيئات الصُّهيوئِيَّة العالَمِيَّة. يقول هرتزل: لو طَلَب إليّ تَلخِص أعمال المؤتمر فإني أقول، بل أنادي على مَسْمَع الجَمِيع أني قد أسَّست الدَّولة اليَهُودِيَّة. (174)

(174) الصُّهيوئِيَّة، عمر رشدي (ص 73).

بروتوكولات حُكماء صهيون

وهي مُقرّرات سِرِّيَّة يترجَّح أنها لمؤتمر (بال) السَّالف الذِّكر، كُشِفَتْ في القرن التَّاسِع عَشْر، وقد حاول اليهود إنكارها، إلاَّ أنَّ الأدلَّة توفَّرت لإثبات صِحَّتِها وصدورها عن حكماء صهيون.

ويُمكن أن تُلخَّص مَحاضر البروتوكولات بالنِّقاط التَّالِيَّة:

- 1- زَعْرَعَة مُقَوِّمات المِجْتَمَع العالِمي الحاضِر ونَظْمِه؛ لِتَمَكِين الصُّهْيُونِيَّة من الاستِثْثار بِحُكْم العالِمْ.
- 2- القَضاء على القَوْمِيَّات والأدِيان والأُمَّم المِسيحِيَّة بِصِفَة خاصَّة.
- 3- العَمَل على زيادَة فساد أنْظَمَة الحُكْم الحاضِرَة في أورُوبا، والتي تُؤمِّن الصُّهْيُونِيَّة بِفَسادِها وانْهيارِها.
- 4- السَّيْطَرَة على وَسائِل التَّنْشُر والدَّعايَة والصُّحف، واستِخدام الذَّهَب لِإثارة الاضطِرابات، وإِغراء النَّاس بالشَّهوات، وإِشاعة الخِلاعة.

والدَّلِيل القاطِع على صِحَّة المُقرَّرات وما حَوَّته من خُطَط يَهُودِيَّة جَهَنْمِيَّة، هو: تَنْفِيذ كَثِير مِمَّا وَرَدَ فِيها من خُطَط ودَسائِس ومُؤامِرات، ومَنْ يَفْرُوها وقد صَدَرَتْ في القَرْن التَّاسِع عَشْر يُدْرِك اليَوْمَ إلى أي مَدى تَحَقَّق الكَثِير مِمَّا وَرَدَ فِيها (175).

نَمادِج من أسالِب الصُّهْيُونِيَّة لِتَحْقِيق أَهدافِها:

- 1- إثارة الفتن والمكائد والمؤامرات على مدار التاريخ ومن أمثلة ذلك:
(أ) لما هاجر الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة عاهد اليهود فيها، فما لَبِثَ حتى تنكروا لهذا العَهْد، وأَخَذوا يَدُسُّون سُمومَهُم لِلتَّفْرِيقَة بين المسلمين، وألَّبوا المشركين على المسلمين حتى أَخْرَجَهُم الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن المَدِينَة حاسِئِينَ.
(ب) قام ابن سبأ اليهوديِّ بتأجيج الفِتنَة على الخَلِيفَة الرَّاشِد عثمان بن عفان رضي اللهُ عنه ، وكان من نتائج حركته الهدامة أن استشهد عثمان رضي اللهُ عنه بِأَيْدِي الثُّوراء.
وقد قاوم عليُّ رضي اللهُ عنه حَرَكَة السَّبِيَّة أَشَدَّ المَقاوِمَة، وطارَد أَتباع ابن سبأ (176).
(ج) الثُّورَة الفِرْنِسيَّة: فَقد استَعَلَّ اليهود الثُّورَة الفِرْنِسيَّة في مُهاجَمَة الأديان، وضَرْب القِيم، والتَّروِيج للشُّعارات الفارِعة، وكان لهم دَوْرٌ في خُطَطِها ودُسْتورِها الأَخْلاقِيِّ.
(د) الحرب العالَمِيَّة الأولى، وقد كان لِلْيَهُودِ دَوْرٌ في إِشعالِ أوارِها.
(هـ) إسقاط دَوْلَة الخِلافة الإسلاميَّة العُثمانيَّة، ولا يخفى دَوْر يَهُودِ الدُّومَة في ذلك.

175 (خطر اليهودية العالمية، عبدالله التَّل ص (140-141).

176 (انظر: جذور البلاء ص (164-165).

- (و) الثَّوْرَةُ الْبَلْشَفِيَّةُ الرَّوْسِيَّةُ عَلَى الْحُكْمِ الْقَيْصَرِيِّ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ جُذُورَ الْفِكْرِ الْمَارْكَسِيِّ يَهُودِيَّةً، فَقَدْ كَانَ (كارل ماركس) يَهُودِيًّا مِنْ يَهُودِ أَلْمَانِيَا وَلَا تَكَادُ تَجِدُ فِتْنَةَ إِلَّا وَلِلْيَهُودِ دَوْرٌ فِيهَا. (177)
- 2- مَحَاوَلَةُ إِغْرَاقِ الشُّعُوبِ فِي الرِّذِيلَةِ، وَنَشْرُ الْفَاحِشَةِ، وَقَدْ تَوَلَّى الْيَهُودُ مِمَّا رَسَدَ تَجَارَةَ ذَلِكَ وَالتَّرْوِيجَ لَهُ، وَإِدَارَةَ الْبَارَاتِ فِي أُوْرُوبَا وَأَمْرِيكَا، وَفِي إِسْرَائِيلَ نَفْسِهَا. (178)
- 3- السَّيْطَرَةُ عَلَى الْأَدَبِ وَالْفَنِّ، بِنَشْرِ الْأَدَبِ الْمُنْحَلِّ الْإِبَاحِيِّ، وَتَشْجِيعِ الْإِتِّجَاهَاتِ الْمُنْخَرِفَةِ فِي الْأَدَبِ وَالْفِكْرِ وَالْفَنِّ.
- 4- السَّيْطَرَةُ عَلَى صِنَاعَةِ السِّيْنِمَا وَالْفَنِّ فِي الْعَالَمِ الْغَرْبِيِّ وَغَيْرِهِ. (179)
- 5- النَّصَبُ وَالرِّشْوَةُ وَالسَّرِقَةُ وَالْإِحْتِيَالُ.
- الْحَرَكَاتُ الْهَدَامَةُ الَّتِي اسْتَخْدَمَتْهَا الصُّهْيُونِيَّةُ لِتَحْقِيقِ مَآرِبِهَا:**
- 1- الْمَاسُونِيَّةُ، وَهِيَ: مُنْظَمَةٌ يَهُودِيَّةٌ سِرِّيَّةٌ، تَعْمَلُ فِي خَفَاءٍ عَلَى تَحْقِيقِ مَصَالِحِ الْيَهُودِ الْكُبْرَى، وَالْمَاسُونِيَّةُ كَلِمَةٌ خَدَاعَةٌ تُؤْهِمُ السَّمَاعِينَ بِأَنَّهَا مِهْنَةٌ شَرِيفَةٌ، حَيْثُ إِنَّ مَعْنَاهَا: (الْبِنَاوُونَ الْأَحْرَارُ)، شِعَارُهَا: (الْحَرِّيَّةُ وَالْإِخَاءُ وَالْمَسَاوَاةُ).
- 2- بِنَايُ بَرْتِ، أَي: أُنْبَاءُ الْعَهْدِ، وَقَدْ أُسِّسَتْ هَذِهِ الْجَمْعِيَّةُ سَنَةَ 1834 م فِي أَمْرِيكَا.
- 3- نَوَادِي اللَّيُونِزِ الْعَالَمِيَّةِ، وَمَعْنَى اللَّيُونِزِ: الْأَسْوَدُ، وَهِيَ نَوَادٍ مَاسُونِيَّةٌ، مَرْكَزُهَا أَمْرِيكَا، وَلَهَا عُمَلَاءُ سِرِّيُونَ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ.
- 4- نَوَادِي الرُّوتَارِيِّ، وَقَدْ أُسِّسَتْ سَنَةَ 1905 م فِي شِيكَاغُو بِأَمْرِيكَا، ثُمَّ امْتَدَّتْ إِلَى جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ.
- مَوْقِفُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذِهِ الْمُنْظَمَاتِ الْمَشْبُوهَةِ:**
- أَصْدَرَ الْجَمْعُ الْفِقْهِيُّ الْإِسْلَامِيُّ بِمَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ بِرِئَاسَةِ سَمَاحَةَ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي دَوْرَتِهِ الْمُنْعَقِدَةِ بِتَارِيخِ 10 / 8 / 1398 هـ الْمُوَافِقِ 15 / 7 / 1978 م قَرَارًا شَرْعِيًّا، اعْتَبَرَ فِيهِ الْمَاسُونِيَّةُ وَالْأَنْدِيَّةُ التَّابِعَةُ لَهَا كَاللِّيُونِزِ، وَالرُّوتَارِيِّ مِنْ أَعْظَرِ الْمُنْظَمَاتِ الْهَدَامَةِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَيْهَا عَلَى عِلْمٍ بِحَقِيقَتِهَا وَأَهْدَافِهَا فَهُوَ كَافِرٌ بِالْإِسْلَامِ، مَجَانِبٌ لِأَهْلِهِ.

(177) أَخْجَارٌ عَلَى رُفْعَةِ الشُّطْرُنَجِ، وَلِيمُ غَايِ كَارِ (ص 35).

(178) جُذُورُ الْبَلَاءِ (ص 172) وَمَا بَعْدَهَا.

(179) جُذُورُ الْبَلَاءِ (ص 172) وَمَا بَعْدَهَا.

أصدر المجلس الإسلامي العالمي بمدينة كراتشي باكستان، بياناً في 29 / 12 / 1970 م يحذر المسلمين في أنحاء العالم من الاشتراك في هذه الأندية الصهيونية؛ لأنها إحدى بنات الماسونية العالمية التي تعمل لحساب إسرائيل والقضاء على الإسلام.

أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بياناً في 15 / 5 / 1985 م بتحريم الانتماء إلى هذه الأندية (الزوتاري)، أو الاشتراك في عضويتها؛ لأنها من أخطر المنظمات الهدامة التي تعمل لحساب الماسونية، ويسيطر عليها اليهود والصهاينة.

الأسئلة:

- س1: ما المراد بالصهيونية بمعناها العام؟
- س2: ما الفرق بين الصهيونية والماسونية؟
- س3: ماذا تعرف عن بروتوكولات حكماء صهيون؟

الجُود والإيثَارُ

أولاً : الجُود

ليس الجودُ معنىً قاصراً على إنفاق المال بسخاءٍ، وإنما الجود معنى واسع ذو مراتب وأنواع تشترك في أن كلاً منها مُشتمل على بذل وعطاء.

فأعلى مراتب الجود بالنفس في سبيل الله تعالى، قال الشاعر:

يجود بالنفس إذ ضنَّ البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ومن مراتبه : الجود بالوقت لمنفعة المؤمنين، والجود بالعلم ببذله للسائلين والمتعلمين، وغير ذلك.

من صور الجود:

(أ) الجود بالنفس:

فإنك إذا تصفحت حياة الصحابة - رضي الله عنهم - ومن بعدهم، فإنك ترى العجب العجاب من بذلهم أرواحهم في سبيل الله تعالى، وإليك طرفاً يسيراً من ذلك:

1- عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في غزوة بدر: ((قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض))، فقال عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ (قال: نعم)، قال: بخٍ بخٍ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما يملك على قولك : بخٍ بخٍ))، قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: ((فإنك من أهلها))، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل⁽¹⁸⁰⁾.

2- وكان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه في إحدى المعارك، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أبواب الجنة تحت ظلل السيف)، فقام رجل رث الهيئة، فقال: يا أبا موسى، أنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا؟ قال: نعم، فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو، فضرب به حتى قُتل⁽¹⁸¹⁾.

180 (رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد (1510/3)، ح (1901)، والقرن : الجعبة.

181 (رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد (1510/3)، ح (1901).

(ب) الجود بالمال وهو كثير لا حصر له في حياة السلف، وإليك هذه المقتطفات:

1- أخذ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أربعمئة دينار، فقال لِعُلامٍ: ((اذهب بها إلى أبي عُبَيْدَةَ، ثم تَلَّهْ (182) ساعةً في البيتِ حتى تَنْظُرَ ما يَصْنَعُ،)) فَذَهَبَ بها الغلام، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: خذ هذه، فقال: وَصَلَهُ اللهُ وَرَحِمَهُ، ثم قال: تعالي يا جارية، اذهبي بهذه السَّبْعَةَ إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أَنْفَذَهَا، فرجع العُلام إلى عمر فأخبره، فَوَجَدَهُ قد أَعَدَّ مِثْلَهَا لمعاذ بن جبل، فأرسله بها إليه، فقال معاذ: (وَصَلَهُ اللهُ، يا جارية، اذهبي إلى بَيْتِ فُلانٍ بكذا، ولَبِيتِ فُلانٍ بكذا، فاطلعت امرأة معاذ فقالت: ونحن والله مَساكين فأعطينا، ولم يَبْقَ في الحِرْقةِ إلاّ دِينَاران فدَفَعَ بهما إليها، وَرَجَعَ العُلام، فأخبر عمر بذلك، وقال: إنهم إخوة، بعضهم من بعض (183).

2- ومن خَبَرَ طَلْحَةَ بن عُبَيْدِ اللهِ رضي الله عنه والذي كان يُقال له: طَلْحَةَ الجود، وطلْحَةَ الفَيَاض؛ لِكثْرَةِ جودِهِ، مِنْ خَبَرِهِ أَنَّهُ جَاءَهُ مالٌ له مِنْ حَضْرَموت، مقدارَه سبعمائة ألف، فبات لَيْلَتَهُ يَتَمَلَّمُ، فقالت له زَوْجَتُهُ: مالك؟ قال: تَفَكَّرْتُ منذ اللَّيْلَةِ، فُقلت: ما ظَنُّ رَجُلٍ بِرَبِّهِ، يَبِيتُ وهذا المال في بَيْتِهِ، قالت: فأين أنت من بعض أَخِلائِكَ، فإذا أَصْبَحْتَ فَفَسَّمَهُ، فقال لها: أنت مُوَفِّقَةٌ، بنت مُوَفِّقٍ، (وهي أمّ كلثوم بنت الصِّدِّيقِ)، فلمَّا أَصْبَحَ فَسَّمَهُ بين المهاجرين والأنصار، فقالت له زَوْجَتُهُ: أمّا كان لنا في هذا المال من نَصِيبٍ؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فَشَأْنُكَ بما بَقِيَ، فكانت صُرَّةً فيها نحو ألفِ دِرْهَمٍ (184).

182 (تَلَّهْ : فِعْلٌ أَمْرٌ مِنْ تَلَّهَى .

183 (سِيرَ أَعْلَامُ النُّبَلَاءِ (456/1) بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ .

184 (سِيرَ أَعْلَامُ النُّبَلَاءِ (31/1)، بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ .

ثانياً: الإيثار

وهو مُتَضَمِّنٌ لِمَعْنَى الجود، وزائد عليه، بأن فيه تَقْدِيمَ شَيْءٍ مع حَاجَةِ النَّفْسِ إليه.
وهو أنواع ومَرَاتِب:

- 1- فأعلى مَرَاتِبِهِ: إيثار مَرَضَاةِ اللَّهِ على غيره، وإيثار الآخِرَةِ على الدُّنْيَا، وما يَبْقَى على ما يَفْنَى.
 - 2- ومنه: الإيثار مع الخلق، وَحَقِيقَتُهُ، أن يَجُودَ المرءُ بِالشَّيْءِ لِعَیْرِهِ، وَيُقَدِّمُهُ على نَفْسِهِ مع الحَاجَةِ إليه، ابْتِغَاءً لِمَرْضَاةِ اللَّهِ، لا لِأَجْلِ مَدْحٍ أو مَنَصَبٍ أو غيرهما.
 - (أ) وأعلى دَرَجَاتِ هذا التَّوَعُّبِ: الإيثار بالنَّفْسِ، وهو جود المرء بِحَيَاتِهِ لِأَجْلِ بَقَاةِ غيره مِمَّنْ بَقَاؤُهُ أَشَدُّ نَفْعاً لِلْمُسْلِمِينَ، مع حَاجَتِهِ إلى بَقَاةِ نَفْسِهِ، وقد كان أصحاب مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولون له: نَفْسِي لِنَفْسِكَ الْفِدَاءِ، وَتَحْرِي دُونَ تَحْرِكِ، مُتَمَثِّلِينَ ذَلِكَ عَمَلِيًّا.
 - (ب) ومنه الإيثار بالمال، وهو: جُودُ المرءِ بِالْمَالِ لِعَیْرِهِ، مع حَاجَتِهِ إليه.
- وقد أثنى الله تعالى على الأنصار لما آثروا إخوانهم المهاجرين، فقال: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: 9].
- ومن صُورِ الإيثار ما يلي:

- 1- عن سَهْلِ بْنِ سَعْدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبُرْدَةٍ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكْسُوكَ هَذِهِ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَحْتِجاً إِلَيْهَا، فَلَبَسَهَا، فَرَأَاهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْسَنَ هَذِهِ ! فَكَسَنِيهَا، فَقَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِامْرَأَةِ أَصْحَابِهِ، فَقَالُوا: مَا أَحْسَنَتْ حِينَ رَأَيْتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَهَا مَحْتِجاً إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلَتْهُ بِهَا، وَقَدْ عَرَفَتْ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئاً فَيَمْنَعُهُ، فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبَسَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَلِّي أُكْفَنُ فِيهَا. (185)
- 2- عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصَابَنِي الْجُهْدُ، فَأَرْسَلْتُ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئاً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ))، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: ضَيِّفِ

185 (رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: حُسْنُ الخُلُقِ والسَّخَاءِ (الفتح) (456/10)، ح (6036) .

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَدَّخِرِيهِ شَيْئاً، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصَّبِيَّةِ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصَّبِيَّةُ الْعِشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ، وَتَعَالِي فَأَطْفِئِي السَّرَاجَ، وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فَفَعَلْتُ، ثُمَّ عَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ((لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ ضَحِكَ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ)) (186).

الأسئلة:

س1: ما العلاقة بين الجود والإيثار؟ وما الفرق بينهما؟

س2: كيف يكون الجود بالوقت والعلم؟

س3: اذكر ثلاث صور من خيالك يمكن أن يتمثل فيها المسلم بخلق الإيثار.

س4: كان الجود بالمال خلقاً محموداً في الجاهلية، وجاء الإسلام فتمم هذا الخلق، اذكر ما يمكن أن تستنتجه من فرق بين هذا الخلق في العهدين.

186 (رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: ويؤثرون على أنفسهم. الفتح (631/8)، ح (4889).
زيادة من صور الإيثار انظر: تفسير ابن كثير، والقرطبي، عند تفسير الآية (9) من سورة الحشر.
ولالإيثار والجود أيضاً انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، منزلة الإيثار.

حَقُّ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَابِ

أَوَّلًا: حَقُّ الْوَالِدَيْنِ

1- الحَقُّ الْعَامُّ لَهُمَا: الْبِرُّ بِهِمَا، وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمَا، وَتَرْكُ عُقُوبِهِمَا.

الْبِرُّ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَقَدْ فَسَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ((الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ)) (187).

وَالْإِحْسَانُ: الْإِنْعَامُ عَلَى الْآخِرِينَ، وَفِعْلٌ مَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ مِنَ الْمَعْرُوفِ.

قَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ ... الْآيَةُ [الْإِسْرَاءُ: 23].

وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ وَأَحَبِّهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

فَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: " الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا " قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: ((بِرُّ الْوَالِدَيْنِ))، قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: ((الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)) (188).

وَأَرشَدَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ إِلَى حُسْنِ مُصَاحَبَةِ الْوَالِدَيْنِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ الْآيَةُ [لَقْمَانُ: 15].

وَسُئِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: ((أُمَّكَ))، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((أُمَّكَ))، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((أُمَّكَ))، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((أَبُوكَ)) (189).
وَالْعُقُوبُ: إِيْدَاءُ الْوَالِدَيْنِ، بِفِعْلِ أَوْ قَوْلٍ أَوْ تَرْكِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِمَسْوَغٍ شَرْعِيٍّ، فَعِنْدَهَا لَا يَكُونُ عُقُوبًا، كَمَا لَوْ أَمَرَ الْوَالِدَانِ بِفِعْلِ مَعْصِيَةٍ، أَوْ تَرْكِ فَرِيضَةٍ.

187 (رواه مسلم، كتاب البر، باب: تفسير البر والإثم (1980/4)، ح (2553)

188 (رواه البخاري في مواضع، منها: كتاب مواقيت الصلاة، باب: فضل الصلاة لوقتها (الفتح 2/9)، ح (527)، وكتاب الأدب، باب: البر والصلة، الفتح (400/10)، ح (5970).

189 (رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: من أحق الناس بحسن الصحبة؟ الفتح (401/10)، ح (5971)، ومسلم، كتاب البر، باب: بر الوالدين (1974/4)، ح (2548).

وقد نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن العُقُوقِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ مِنْ كَبَائِرِ الدُّنُوبِ، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرَ الكَبَائِرِ ؟ قلنا: بلى يا رسولَ اللهُ، قال: ((الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَكِنًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ)) ... الحديث (190)

وَمِنَ العُقُوقِ: العَضْبُ عَلَيهِمَا، وَتَرَكَ طَاعَتِيهِمَا، وَالإِعْرَاضُ عَن حَدِيثِيهِمَا، وَزَجْرُهُمَا وَالتَّأْفُفُ مِن حَاجَتِيهِمَا وَكَلَامِيهِمَا، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

هَذَا هُوَ الحَقُّ العَامُّ لهُمَا، وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِمَا يَأْتِي بَعْدَهُ مِنَ الحَقُوقِ.

2- طَاعَتُهُمَا:

فَتَلَزَمَ طَاعَتُهُمَا فِيمَا أَمَرَ بِهِ، وَنَهَى عَنْهُ، وَهِيَ طَاعَةٌ مُقَيَّدَةٌ بِشُرُوطٍ:

1- أَنْ تَكُونَ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى.

2- الإِسْتِطَاعَةُ.

3- التَّلَطُّفُ فِي الخِطَابِ مَعَهُمَا، وَعَدَمُ التَّضَجُّرِ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ، وَلَا حَتَّى التَّأْفُفِ حِينَ يَتَحَدَّثَانِ أَوْ يَطْلُبَانِ عَمَلًا مِنَ الأَعْمَالِ.

وَيَتَأَكَّدُ هَذَا الحَقُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الحَقُوقِ عِنْدَ كِبَرِ الوَالِدَيْنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَبْغُضُ عِنْدَكَ الأَكْبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإِسْرَاءُ: 23].

4- التَّوَاضُّعُ لَهُمَا، وَهَضْمُ النَفْسِ أَمَامَهُمَا، وَأَنْ لَا يَرَى نَفْسَهُ أَعْلَى مِنْهُمَا بِسَبَبِ عِلْمٍ تَعَلَّمَهُ، أَوْ مَالٍ حَصَلَهُ، أَوْ مَنْصَبٍ تَسَلَّمَهُ، بَلْ يَبْقَى هُوَ ذَاكَ الوَلَدُ الَّذِي حَمَلَاهُ صَغِيرًا، وَرَفَعَا عَنْهُ القَدْرَ، وَأَطْعَمَاهُ الطَّعَامَ، وَلَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَى إِطْعَامِ نَفْسِهِ، فَكَيْفَ يَتَرَفَّعَ عَلَيْهِمَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإِسْرَاءُ: 24].

5- الدُّعَاءُ لَهُمَا:

فَعَلَى الوَلَدِ أَنْ يَدْعُو لِوَالِدَيْهِ، فِي حَيَاتِهِمَا وَبَعْدَ مَوْتِهِمَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإِسْرَاءُ: 24].

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلَاثٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يَنْتَفِعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)) (191)

190 (رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: عقوق الوالدين من الكبائر. الفتح (405/10)، ح (5976).

191 (رواه مسلم، كتاب الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ح (1631).

6- أن لا يتسبب في لعنهما:

اللعن في أصله حرام، ويزداد حرمةً إذا كان هذا اللعن سبباً في لعن الوالدين، قال صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه)) قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: ((يسبُّ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمه فيسبُّ أمه)) (192) فكيف بمن يلعن والديه مباشرةً (193)؟!

7- أن يصل أقاربهما وأصحابهما، ويحترمهم في حياتهما وبعد مماتهما:

قال صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ أبرَّ البرِّ صلةُ الولدِ أهلٍ وُدِّ أبيه)) (194).

8- دعوتهما وتعليمهما:

من أحقَّ الناس بالنصح والمعاونة الوالدان، فمن رأى منهما غلطاً يستحق التنبية فإنه يتلطف ويتأدب في تنبيههما عليه؛ لأنَّ في ذلك نجاهاً لهما من العقوبة. قال الإمام أحمد رحمة الله تعالى: ((إذا رأى أباه على أمرٍ يكرهه، يُعلِّمه بغير عنفٍ، ولا إساءة، ولا يغلظ له في الكلام، وإلا تركه، وليس كالأجنبي)) (195). ولكن الأب قد لا يتقبل النصح من ولده، فلذلك الأولى له أن يُنصحه بطريق غير مباشر، مثل أن يطلب من إمام المسجد أن يتكلم عن الموضوع الفلاني الذي يرى أنَّ والده بحاجة إليه، أو يهدي لوالده كتاباً فيه التنبية على هذا الغلط الذي يفعله، أو حتى يضعه أمام عينيه ولا يتقصّد توجيهه إليه حتى لا يشعر الوالد بذلك، فيستكبر عن قراءته وقبوله، أو أيّ وسيلةٍ أخرى يحصل بها النصح، لكن دون مباشرةٍ من الولد تجعل الوالد ينفر ويستكبر.

9- مصادقتُهما ومصاحبتُهما:

وهذا مطلوب لأجل زيادة الألفة بين الولد ووالده، ولذلك وسائل منها: أن يأخذ رأيَه ويستشيرَه.

أن يهدي له: قال صلى الله عليه وسلم ((تهادوا تحابوا)) (196).

192 (رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: لا يسبُّ الرجل والديه. الفتح (403/10)، ح (5973).

193 (انظر مجموع الفتاوى (226/34).

194 (رواه مسلم، كتاب البر، باب: فضل صلة أصدقاء الأب والأم (1979/4)، ح (2552).

195 (الآداب الشرعية (449/1).

أن يتصاحب معه في السفر ... وغير ذلك، وهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ الآية [لقمان: 15].

10- آداب مُجَمَّلَةٌ فِي تَعَامُلِ الْوَالِدِ مَعَ الْوَالِدِيَّةِ:

لا يدعوه، ولا يجلس قبله، ولا يمشي أمامه إلا أن يتقدمه ليُرْفَعَ عنه أذى، أو يفتح له باباً، ونحو ذلك، ويخدمه، ويجيب دعوته، ويتكلم معه بليناً ولطفاً، ولا يقطع عليه حديثه، أو يخطئه، أو يقول له: أنت لا تعرف.

وليحرص على إسعاد والدته بكل مشروع ومباح، فهما يجبانه صالحاً، مُصَلِّياً، ويجبانه مُرافِقاً للصالحين، ويجبانه حريصاً على دراسته، مُتَفَوِّقاً، بل ويفتخران بكل ذلك، فتحصيل ذلك لنفسك هو من برك بوالديك.

ثانياً : حَقُّ الْأَقْرَابِ

لقد أمر الله تعالى بإعطاء القريب حقه، فقال: ﴿وَأَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ [الإسراء: 26].

وأمر بالوصل فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [الرعد: 21].

وفي الحديث القدسي أن الله تعالى قال للرحم: ((من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته)) (197).

وحذر من القطيعة، وجعلها من الفساد في الأرض فقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: 22].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((لا يدخل الجنة قاطع)) (198).

مراتبها:

وصلة الأرحام مراتب، أعلاها: المعاونة بالنفس والمال، والمناصحة، وأدناها: الصلة ولو بالسلام، وبين ذلك مراتب، قال صلى الله عليه وسلم: ((بلُّوا أرحامكم ولو بالسلام)) (199).

196 (حديث رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم (594)، والبيهقي (169/6)، عن أبي هريرة، وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (70/3)، إسناده حسن، وانظر: إرواء الغليل (44/6).

197 (رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: من وصل الرحم وصله الله (الفتح 417/10) ح (5988)، وانظر: صحيح مسلم، رقم (2554).

198 (رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: إثم القاطع (الفتح 415/10)، ح (2556)، ومسلم، كتاب البر، باب: صلة الرحم وتحريم قطعها، ح (2556).

199 (رواه وكيع في الزهد، رقم (409)، والبيهقي في الشعب (227/6)، والقطيعي في جزء الألف دينار، رقم (310)، والبرزاري في كشف الأستار (37/2)، والطبراني، وغيرهم، قال في المقاصد وكشف الخفاء: له طُورٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا.

أعلاها من جهة أخرى: أن تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((ليس الواصِلُ بالمكافئِ، ولكن الواصِلَ الذي إذا قُطِعَتْ رَجْمُهُ وَصَلَّهَا)) (200).

والمعنى هنا: أنَّ الوَاصِلَ الكَامِلَ هو صِلَّةُ القاطِعِ، وأقلُّ منه مَرْتَبَةٌ: (المكافئِ)، وهو الذي يَصِلُ أرحامه الذين يَصِلُونَهُ.

حَدُّهَا:

وليس لِلصِّلَّةِ حَدٌّ محدود بِزَمَنٍ أو وَقْتٍ، بل ذلك حَسَبَ العُرْفِ، فما عَدَّهُ العُرْفُ الصَّحِيحُ صِلَّةً فهو كذلك، وما عَدَّهُ في العُرْفِ الصَّحِيحِ قَطِيعَةً فهو كذلك، وهي تَخْتَلِفُ باختِلَافِ القَرِيبِ وَمَنْزِلَتِهِ، فَصِلَّةُ الوالدِ غيرِ صِلَّةِ ابنِ العَمِّ البَعِيدِ، كما تَخْتَلِفُ باختِلَافِ الأحوالِ، فَصِلَّةُ المَرِيضِ والمحتاجِ غَيْرِ صِلَّةِ غَيْرِهِ، وَصِلَّةُ الكَبِيرِ غيرِ صِلَّةِ الصَّغِيرِ، كما تَخْتَلِفُ باختِلَافِ الأمكنةِ، فالذي في البلدِ غيرِ الذي هو خارجٌ عنها، وهكذا.

ومَّا يَدْخُلُ في الصِّلَّةِ: الزِّيَارَةُ، والسُّؤَالُ عن الحالِ، وإبلاغُ السَّلَامِ، والاتِّصَالُ الهاتِفِي، والرَّسَائِلُ المتبادِلَةُ، وغير ذلك.

فَضْلُ البِرِّ وَالصِّلَّةِ:

1- فيه سَعَةٌ في الرِّزْقِ، وطولٌ في العَمْرِ، وبركةٌ فيهما، فعن أنسٍ رضي اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهُ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((من أحبَّ أن ييسطَ له في رِزْقِهِ، وينسأَ له في أثرِهِ، فليصلِ رَحِمَهُ)) (201)، ومعنى: ((ينسأُ له في أثرِهِ)) أي: يؤخِّرُ أجلَهُ.

2- البِرُّ وَالصِّلَّةُ سَبَبٌ لِدُخُولِ الجَنَّةِ، فَعَن أَبِي أَيُّوبَ الأنصاري رضي اللهُ عنه أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ اللهُ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، فقال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((تَعْبُدُ اللهُ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وتُقيمُ الصَّلَاةَ، وتُؤْتِي الرِّكَاءَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ)) (202).

200 (رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: ليس الواصِلُ بالمكافئِ (الفتح 10/423)، ح (5991)، وانظر في فَضْلِ صِلَّةِ القاطِعِ أيضاً ما رواه مسلم (1982/4)، برقم: (2558).

201 (رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: مَنْ يُيسَطُ له في رِزْقِهِ بِصِلَّةِ الرَّحِمِ. الفتح (415/10)، ح (5986)، ومسلم، كتاب البرِّ، باب: صِلَّةُ الرَّحِمِ وتَحْرِيمُ قَطْعِهَا (2557) (1982/4).

202 (رواه البخاري، كتاب الأدب، باب: فَضْلُ صِلَّةِ الرَّحِمِ (414/10)، ح (5983).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ: أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ)) (203)

قال النووي: ومعناه أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة أو التفقة أو غير ذلك سبب لدخول الجنة، فمن قصر في ذلك فاته دخول الجنة (204).

3- سبب لتوفيق في الحياة والسعادة فيها، ولبر الأوالاد والذرية.

من نتائج العقوق والقطيعة:

1- أنها سبب لدخول النار.

2- أنها تؤدّي إلى معيشة الضنك في الدنيا والآخرة.

3- أنها تؤدّي إلى عقوق الأوالاد بأبائهم.

4- أنها سبب لقلّة بركة العمر.

الأسئلة:

س1: ما المراد بالعقوق؟ واذكر ثلاث صور منه غير ما هو في الكتاب.

س2: لو رأى الولد من أبيه أو أمه ما يدعو إلى التنبه والنصح، فما الأسلوب الأمثل في ذلك؟

س3: ما حدّ الصلّة؟ اذكر ذلك بالتفصيل.

203 (رواه مسلم، كتاب البر، باب: رَغِمَ أَنْفٌ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ (4/1978)، ح (2551).

204 (شرح النووي لصحيح مسلم (16/164).

السَّماع

نِعْمَةُ السَّمْعِ:

السَّمْعُ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ آمَنَ اللهُ تَعَالَى بِهَا عَلَى عِبَادِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78].

وهو أعظم وسائل العلم، ولذلك تكرر في القرآن التنبيه عليه، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الحج: 46].

وقال صلى الله عليه وسلم مُنْبَهًا عَلَى خُطُورَةِ الاسْتِمَاعِ: ((كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيْبِهِ مِنَ الزَّانِ، مُدْرِكِ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظْرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَتَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ)). (205)

والمَسْمُوعُ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ:

أَوَّلًا: مَسْمُوعٌ يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، فَالاسْتِمَاعُ إِلَيْهِ مَحْمُودٌ، وَأَفْضَلُ هَذَا السَّمْعُ سَمَاعَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَسَمَاعُهُ يَقَعُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ:

- سَمَاعٌ مَجْرَدٌ، وَأَعْلَى مِنْهُ سَمَاعٌ تَفَهُمٌ وَتَدَبُّرٌ، وَأَعْلَى ذَلِكَ سَمَاعٌ إِجَابَةٌ وَقَبُولٌ، وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِمَا قَبْلَهُ.

وَمِنَ السَّمْعِ الْمَحْمُودِ أَيْضًا: اسْتِمَاعُ خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ، وَاسْتِمَاعُ كَلَامِ الْوَالِدَيْنِ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ الْإِعْرَاضُ عَنْهُ مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، وَاسْتِمَاعُ كَلَامِ النَّاصِحِ.

وَمِنْهُ: اسْتِمَاعُ الْمَوَاعِظِ، وَدُرُوسِ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَأَعْلَاهُ: عِلْمُ الشَّرْعِ، وَيَلِيهِ سَائِرُ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ.

ثَانِيًا: مَسْمُوعٌ مَبَاحٌ، مَاذُونٌ فِيهِ، لَا يُحِبُّهُ اللهُ وَلَا يُبَغِّضُهُ، وَلَا مَدْحَ صَاحِبِهِ وَلَا دَمَمَهُ، فَالاسْتِمَاعُ إِلَيْهِ مَبَاحٌ، وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِي كُلِّ مَسْمُوعٍ لَمْ يَرِدِ الشَّرْعُ بِدَمَمِهِ، وَأَمَثَلَتُهُ كَثِيرَةٌ لَا حَظْرَ لَهَا، فَمِنْ ذَلِكَ: سَمَاعُ الْقَصَصِ وَالْحِكَايَاتِ الَّتِي لَا فُحْشَ وَلَا كَذِبَ فِيهَا، وَلَيْسَتْ هِيَ مِنْ جِنْسِ السَّمْعِ الْمَحْمُودِ (206)، وَمِنْ ذَلِكَ سَمَاعُ الْكَلَامِ الْمَعْتَادِ الْمَبَاحِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

ثَالِثًا: مَسْمُوعٌ يُبَغِّضُهُ اللهُ وَيَكْرَهُهُ، وَنَهَى عَنْهُ، وَمَدْحُ الْمَعْرِضِينَ عَنْهُ: فَالاسْتِمَاعُ إِلَيْهِ مَدْمُومٌ، وَاجْتِنَابُهُ وَاجِبٌ، وَذَلِكَ لِإِتِوَاقِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ، وَيَجْتَنِبُ مَا يُبَغِّضُهُ، وَلِذَلِكَ أَمَثَلَةٌ تُنَبِّهُ عَلَى بَعْضِهَا تَفْصِيلًا:

205 (رواه مسلم، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - في كتاب القدر، باب: قُدِّرَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظُّهُ مِنَ الزَّانِ وَغَيْرِهِ (2047/4)، ح (2657).

206 (قَصَصَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَنَحْوَهَا يُعْتَبَرُ سَمَاعُهَا مَحْمُودًا.

1- الاستماع إلى مَنْ يَطْعَن في الدِّين والطَّعَن في الدِّين مِنَ المحرَّمات العَظيمة، بل قد يَصِل بِصاحِبِه إلى الكُفْر، فالواجب على مَنْ سَمِعَ هذا أن يَرُدَّ عليه ويُدافع عن الدِّين، وإلاَّ فَإِنَّه لا يجوز له البقاء مع مَنْ يَتَكَلَّمُ بذلك، وجُلوسُه مع السُّكوت مِنَ أعْظَم المحرَّمات.

وقَرِيبٌ مِنْ ذلك: الطَّعَن في خِيار الأُمَّة، كالصَّحابة والعُلَماء والمصلِحين، حَمَلَةٌ هذا الدِّين ومُبَلِّغِيه، والدِّفاعُ عن أَعْرَاضِهِمْ مِنَ أعْظَم الواجبات، وأزْعَ القُرَبات.

2- استِماع الغِناء، وآلات اللُّهُو والطَّرَب.

قال ابن القَيِّم رحمه الله تعالى: إِنَّ الغِناءَ والسَّماعَ الشَّيطاني وآلات اللُّهُو، إِنما نَصَبَها الشَّيطانُ مُضادَّةً لأمرِ الله، ومُعارضةً لِمَا شَرَعَهُ اللهُ لِعِبادِهِ وجَعَلَهُ سَبَبَ صِلاحِ قُلُوبِهِمْ⁽²⁰⁷⁾ وهو محرَّم بالقرآن والسُّنَّة والإجماع.

(أ) أدلَّة القرآن:

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ الآية [لقمان: 6].
سُئِلَ ابن مسعود - رضي الله عنه - عن هذه الآية فقال: الغِناء والله الذي لا إله إلا هو، يُرَدِّدها ثلاث مرَّات، وبهذا فسَّرَها ابن عمر، وابن عبَّاس، وجابر رضي الله عنهم، وكثير من التَّابعين، منهم أئمة التَّفسير: مجاهد بن جَبْر المَكِّي، وعِكْرمة مولى ابن عبَّاس، والحسن البَصْري، وسعيد بن جُبَيْر، وقتادة بن دعامة السَّدوسي، وغيرهم⁽²⁰⁸⁾.

قال تعالى ﴿ وَأَسْتَفْزِرُّ مِنَ اسْتَطْعَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾ الآية [الإسراء: 64].

قال مجاهد: ((الغِناء والمزامير)) . ولذلك يُسَمِّيهِ السَّلَفُ: صَوْت الشَّيطان، ومزمار الشَّيطان.

(ب) أدلَّة السُّنَّة:

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لِيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَّ والحَرِيرَ، والحَمَرَ، والمعازِفَ))⁽²⁰⁹⁾. وقال أيضاً: ((إِنَّ فِي أُمَّتِي حَسَنًا وَمَسْحًا وَقَذْفًا)) قالوا: يا رسولَ اللهِ، وهم يَشْهَدُونَ أن لا إله إلا اللهُ؟! فقال: ((نَعَمْ، إذا ظَهَرَتِ المعازِفُ والخمور، ولُبِسَ الحَرِيرَ))⁽²¹⁰⁾.

207 (كتاب السَّماع، لابن القَيِّم.

208 (ينظر: كتب التَّفسير عند هذه الآية، وصَحَّحه ابن القَيِّم عن ابن مسعود، وابن عمر رضي الله عنهم.

209 (رَواه البخاري معلقاً مجزوماً به، كتاب الأشربة، باب: ما جاء فيمن يَسْتَحِلُّ الخمر. الفتح (51/10)، ح (5590)، ورواه غيره أيضاً بأسانيد صحيحة متصلة (ينظر: فتح الباري، شرح الحديث).

(ج) أما الإجماع على تحريم الغناء بآلات الطرب والملاهي:

فقد نقله جماعة من العلماء، منهم : أبوبكر الأجرى، وزكريا بن يحيى الساجي، في كتابه: (اختلاف العلماء)، والإمام أبو عمرو بن الصلاح، وأبو الطيب الطبري الشافعي، وغيرهم (211)

بعض أقوال العلماء:

- 1- قال ابن مسعود رضي الله عنه: الغناء يُنبت النفاق في القلب كما يُنبت الماء الزرع. (212)
- 2- وقال مالك: إنما يفعلُه عندنا المُساق.
- 3- وقال الفضيل بن عياض: الغناء رُفِيَةُ الزنا. والمعنى أنه يدعو إلى الزنا. (213)

بعض مفاسده وآثاره السيئة:

- 1- أنه يُسبب النفرة من سماع القرآن الكريم، والمواظب النافعة.
- 2- يُلهي القلب عن فهم القرآن وتدبره، وذوق حلاوته، وسر ذلك وسببه أنه مزمار الشيطان، فلا يجتمع هو وقرآن الرحمن في قلب أبداً؛ لما بينهما من التضاد، فالقرآن ينهي عن اتباع الهوى، ويأمر بالعفة، والغناء يأمر بضد ذلك.
- 3- أنه في الحقيقة يريد للزنا والفاحشة بما فيه من ذكر الحب والعزل والنساء، وغير ذلك مما يدعو إلى الرذيلة والفساد.
- 4- يُسبب تعلق القلب به، وانصرافه عن محبة الله المحبة الحقيقية.
- 5- يُذهب الوقت ويُضيِّعه بما لا ينفع فيه، بل فيه الضرر.

210 (روي هذا الحديث عن غير واحد من الصحابة مرفوعاً بألفاظ متقاربة، وهو حديث حسن، ينظر في تخريجه والكلام عليه:)) تنبيه اللاهي ((لإسماعيل الأنصاري، (ص 33)، وأحاديث ذم الغناء والمعازف، للجديع.

211 (ينظر: نزهة الأسماع لابن رجب (ص 25، 59، 63، 78)، وذكر أن الخلاف الواقع على ضعفه إنما حصل في الغناء بدون آلات الملاهي، ويُنظر أيضاً: إغاثة اللهفان لابن القيم (146/1).

212 (صححه ابن القيم في الإغاثة (148/1)، ووضح معناه.

213 (انظر في معناه: الإغاثة (145/1).

للتوسع في الموضوع انظر: كتاب السماع، للإمام ابن القيم، وإغاثة اللهفان له (الجزء الأول)، ونزهة الأسماع في مسألة السماع، للحافظ ابن رجب.

6- قد يُسَبَّب لِفاعِلِهِ أو سامِعِهِ الرُّعُونَة وَقِلَّةُ الحَيَاءِ، فَتَجِدُهُ يَمِيلُ رَأْسَهُ، وَيُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ، وَرِمْما اهْتَرَّ، وَضَرَبَ الأَرْضَ بِرِجْلَيْهِ، وَغَيرَ ذَلِكَ.

الاسْتِمَاعُ لِلْغِيبَةِ:

والغِيبَةُ هِيَ: ذِكْرُ أَحْكَامٍ بِما يَكْرَهُ، وَهِيَ مِنَ كِبائِرِ الذُّنُوبِ، فَلا يَجُوزُ الاسْتِمَاعُ لَها، بَلِ الواجِبُ عَلى المُسْلِمِ إِذا سَمِعَ مَن يَعتابُ فَإِنَّهُ يُوقِفُهُ وَيُرْشِدُهُ لِتَرْكِ ذَلِكَ، وَيُجَدِّدُهُ مِنَ الغِيبَةِ، وَيُذَكِّرُهُ بِخَطَرِها، فَإِنِ اسْتَجابَ فَهُوَ المَطْلُوبُ، وَإِلا فَلا خَيرَ في الجُلُوسِ مَعِ مِثْلِهِ.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ الآية [القصص: 55].

وأشدُّ مِنَ مَجْرَدِ السُّكُوتِ أَنْ يُظْهِرَ المِتابِعَةَ وَالإِنْصَاتِ وَالتَّعَجُّبِ لِمَا يَقُولُ المِتابِعُ، قال الغزالي رحمه الله:
:والتَّصَدِيقُ بِالْغِيبَةِ غِيبَةٌ، بَلِ السَّاكِتِ شَرِيكَ المِتابِعِ (214)

الاسْتِمَاعُ لِلنَّمِيمَةِ:

والنَّمِيمَةُ: نَقْلُ الكَلَامِ بَينَ النَّاسِ عَلى جِهَةِ الإِفسادِ، وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ، وَمِنَ الكِبائِرِ، وَيَنْبَغِي لِمَن نُقِلَتْ إِليه النَّمِيمَةُ عِدَّةُ أُمُورٍ:

(أ) أَلَّا يُصَدِّقَ النَّمَامَ.

(ب) أَنْ يَنْهَاهُ وَيَنْصَحَهُ.

(ج) أَنْ يُبْغِضَهُ فِي اللَّهِ حَتَّى يَتْرَكَ ما هُوَ فِيهِ.

(د) أَلَّا يَظُنَّ بِأَخِيهِ الغائِبِ سَوءًا.

(هـ) أَنْ لا يَدْفَعَهُ هَذَا الكَلَامَ إِلى التَّجَسُّسِ وَالتَّحَرِّيِ (215)

أَنْ يَسْتَمِعَ إِلى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ يَكْرَهُونَ ذَلِكَ وَلا يَرْضَوْنَهُ

وسِواءُ أَكانتِ كِراهِيتُهُمْ صَريحَةً، كَأَنَّ يَقُولُوا: لا تَتَسَمَّعْ حَدِيثِنا، أَمْ كانَتِ غَيرَ صَريحَةً، لَكِن تَدَلُّ القَرائِنُ عَليها، كَأَنَّ يَتَحَدَّثُوا بِصَوْتٍ مَنخَفِضٍ فِما بَينَهُم فَلا يَجُوزُ التَّنصُّتُ (216) لِحدِيثِهِم.

وَمِنَ ذَلِكَ: التَّنصُّتُ عَلى النَّاسِ فِي بُيُوتِهِم، أَوْ عُرْفِهِم، أَوْ عَبرَ الأَجْهَرَةِ مِنَ هاتِفٍ وَغَيرِهِ، فَكُلُّ هَذَا وَأَشْباهِهِ حَرَامٌ، وَتَحْرِيمُ ذَلِكَ مِنَ مَقاصِدِ الشَّرِيعَةِ الإِسلامِيَّةِ، حَيْثُ جِاءَتْ بِالمُحافَظَةِ عَلى أَسْرارِ النَّاسِ وَأُمُورِهِمُ الخاصَّةِ الَّتِي لا يَجُوبُ أَنْ يَطَّلَعَ عَليها أَحَدٌ.

214 (إحياء علوم الدين (3/138).

215 (انظر : إحياء علوم الدين (3/147).

216 (التَّنصُّتُ: الاسْتِمَاعُ، وَالمَشْهُورُ عَندَ النَّاسِ: التَّنصُّتُ، وَهُوَ غَلَطٌ.

وقد ورد النَّهْيُ عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ الآية [الحجرات: 12] ⁽²¹⁷⁾، والتَّجَسُّسُ يَكُونُ بِالِاسْتِمَاعِ وَغَيْرِهِ.

وقد تَوَعَّدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ، فقال: ((مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الْآنُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) ⁽²¹⁸⁾.

والآنُك - بالضَّم - الرِّصَاصُ المُذَابُ، وهذا يُدَلُّ عَلَى أَنَّ الْجِزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

الْأَسْئَلَةُ:

- س1: ما أنواع المسموعات ؟ مع التمثيل لكل نوع بمثال.
- س2: ما حكم سماع الأغاني ؟ اذكر الأدلة على ما تقول، ثم اذكر أربعاً من المفاسد المترتبة على سماعه.
- س3: أيهما أشدَّ تحريماً سماع الغناء من رجلٍ أو من امرأةٍ ؟ مع التعليل لما تقول.
- س4: ما حكم التنصت على الآخرين ؟ وما الدليل على ما تقول ؟ ثم اذكر ثلاث صور له.

217 (وهو أيضاً لفظ حديث رواه مسلم (4/1985)، برقم (2563) .

218 (رواه البخاري، كتاب التعبير، باب: مَنْ كَذَبَ فِي حُلْمِهِ (الفتح 12/427)، ح (7042).

الدُّكْر

مَعْنَى الدُّكْرِ:

الدُّكْر بِكسر الدَّالِ لَغَةٌ: الحِفظُ لِلشَّيْءِ، وَالتَّنَاءُ، وَالشَّرْفُ، وَالدُّكْرُ: الشَّيْءُ يُجْرِي عَلَى اللِّسَانِ، وَالدُّكْرُ بِضَمِّ الدَّالِ: خِلَافُ النِّسْيَانِ. (219)

وَفِي الشَّرْحِ: مَا يُجْرِي عَلَى اللِّسَانِ وَالقَلْبِ مِنْ تَسْبِيحِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَمْدِهِ وَالتَّنَاءِ عَلَيْهِ وَقِرَاءَةِ كِتَابِهِ وَدُعَائِهِ، وَتَنْفِيذِ أَوْامِرِهِ، وَالتَّفَكُّرِ فِي آيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.

يَقُولُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: اعْلَمْ أَنَّ فَضِيلَةَ الدُّكْرِ غَيْرُ مُنَحْصِرَةٍ فِي التَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ وَنَحْوِهَا، بَلْ كُلٌّ عَامِلٌ لِلَّهِ تَعَالَى بِطَاعَةٍ فَهُوَ ذَاكِرٌ لِلَّهِ تَعَالَى، كَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ (220).

أَهْمِيَّتُهُ:

الإنسان في هذه الدنيا يتقلب فيها من حالٍ إلى حالٍ، فمن الصِّحَّةِ إلى المرضِ، ومن الغنى إلى الفقرِ، ومن القوَّةِ إلى الضَّعْفِ، والعكس أيضاً، وهو في جميع أحواله وظروفه مُرْتَبِطٌ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا غِنَى لَهُ عَنْهُ لِحِظَّةٍ مِنَ اللَّحَظَاتِ، فَهُوَ الخَالِقُ لَهُ، وَالمَدْبُرُ لِجَمِيعِ شُؤُونِهِ، وَقَدْ كَلَّفَهُ بِعِبَادَتِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَجَعَلَ لَهُ سُبُلًا مُتَعَدِّدَةً تَتَحَقَّقُ بِهَا هَذِهِ العِبَادَةُ. وَمِنْ أَعْلَى هَذِهِ السُّبُلِ وَأَهْمُهَا ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى، الحَبْلُ المَتِينِ، الَّذِي يَرْتَبِطُ المَخْلُوقُ بِخَالِقِهِ، وَيَجْعَلُهُ يَعِيشُ فِي مَعِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ، وَيُقِيمُ النَفْسَ عَلَى الجَادَّةِ، وَيُثَبِّتُهَا عَلَى الصِّرَاطِ المَسْتَقِيمِ.

وَمِنْ هُنَا أَمْرُ المُسْلِمِ بِأَنْ يَكُونَ مِنَ الذَّاكِرِينَ لِلَّهِ تَعَالَى لَيْلاً وَنَهَاراً، سِرّاً وَجَهَاراً، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَذَكَّرُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْراً وَأَصِيلاً ۝﴾ [الأحزاب: 41-42].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعاً وَخِيفَةً ۝﴾ [الأعراف: 205].

فَضْلُ الدُّكْرِ وَفَوَائِدُهُ

يَقُولُ ابْنُ العَرَبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: هَذَا بَابٌ عَظِيمٌ طَاشَتْ فِيهِ الأَلْبَابُ (221)، وَذَلِكَ لِعِظَمِ الفَوَائِدِ الحَاصِلَةِ مِنْهُ، وَقَدْ ذَكَرَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِهِ: (الوَابِلُ الصَّيِّبُ مِنَ الكَلِمِ الطَّيِّبِ)، أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ فائِدةً، مِنْهَا:

219 (ينظر: لسان العرب (3/1507)، مادة (ذكر)، والصَّحاح (2/664)، مادة (ذكر)..)

220 (الأذكار للنَّوَوِيِّ (ص 9)، وللزيادة ينظر: الوَابِلُ الصَّيِّبِ، لابن القَيِّمِ (ص 108-110)..)

221 (عارضة الأحمدي (12/297)..)

- 1- سَعَادَةُ الْقَلْبِ وَطُمَأْنِينَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرَّعْدُ: 28].
- 2- ذَكَرَ اللَّهُ مِنْ أَفْضَلِ الطَّاعَاتِ وَأَجَلَ الثَّرِيَّاتِ، بَلْ أَفْضَلُهَا؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِالطَّاعَاتِ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45].
- وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 35].
- وروى الترمذي وغيره عن أبي الدرداء رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((أَلَا أُنبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرَ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ، وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ)) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ((ذِكْرُ اللَّهِ)) (222).
- 3- الذَّاكِرُونَ اللَّهُ تَعَالَى هُمْ أَهْلُ الْإِنْتِفَاعِ بِآيَاتِهِ، وَهُمْ أَوْلُو الْأَبَابِ وَالْعُقُولِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي حَقِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخَلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ .. الآية [آل عمران: 190-191].
- 4- ذَكَرَ اللَّهُ حِصْنُ حَصِينٍ، يَحْرِزُ بِهِ الْعَبْدُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ.
- روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِيمَا حَكَاهُ عَنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: " وَأَمْرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ، فَإِنَّ مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا، حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يَحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ " (223).
- 5- مِنْ فَوَائِدِهِ: أَنَّهُ يُحِطُّ الْخَطَايَا وَيُذْهِبُهَا، فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْحَسَنَاتِ، وَالْحَسَنَاتُ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ.
- روى مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: جَمْدَانُ، فَقَالَ: ((سِيرُوا هَذَا جَمْدَانَ سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ)) قَالَ: وَمَا الْمُفْرَدُونَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ (((224).

222 (رواه الترمذي في جامعه، في كتاب الدعوات، باب: ما جاء في فضل الذكر (459/5).

223 (والصيام والصدقة (136/5)، رقم (2863)، وقال: " حسن صحيح غريب "، والإمام أحمد في مسنده.

224 (رواه مسلم في صحيحه،، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: الحث على ذكر الله (2062/4).

6- جَلْبُ الأَرْزَاقِ العَاجِلَةِ وَالأَجَلَةِ لِلْفَرْدِ وَالأُمَّةِ، قال اللهُ تَعَالَى عَن نُّوحٍ عَلَيهِ السَّلَامُ : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّي إِنَّهُ كَانَ عَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنِينٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح: 10-12]، وَالاسْتِغْفَارُ مِنَ الذُّكْرِ.

من أنواع الذُّكْرِ:

عرفنا أنَّ الذُّكْرَ يَكُونُ بِاللِّسَانِ، وَيَكُونُ بِالقَلْبِ، وَيَكُونُ بِهَما مَعًا، وَعَلَيهِ يَمَكِنُ أَنْ نَذْكُرَ بَعْضًا مِنْ أنواعِهِ:

1- الذُّكْرُ بِاللِّسَانِ، مِثْلَ التَّسْبِيحِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَغَيرِها مِنَ الأَذْكارِ الوارِدَةِ فِي نصوصِ الكِتابِ وَالسُّنَّةِ.

2- قِراءَةُ كِتابِ اللهِ تَعَالَى، فَهُوَ كَلامُ اللهِ تَعَالَى، المُنزَّلُ عَلى رَسولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَقِراءَتُهُ أَفْضَلُ مِنَ الأَذْكارِ المَطْلُوقَةِ؛ لِأَنَّهُ كَلامُ اللهِ تَعَالَى، فَقد رَوَى التِّرْمِذِيُّ، عَن ابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قال: " مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أمثالِها، لا أَقولُ (أَلَمْ) حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ " (225).

3- الدُّعاءُ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الأَذْكارِ؛ لِأَنَّهُ تَقَرَّبَ إِلى اللهِ تَعَالَى بِأَسْمائِهِ وَصِفاتِهِ؛ لِتَلْبِيَةِ حاجاتِ العَبْدِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ.

4- الاسْتِغْفارُ، قال اللهُ تَعَالَى عَن نُوحٍ عَلَيهِ السَّلَامُ : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّي إِنَّهُ كَانَ عَفَّارًا ﴾ [نوح: 10].

5- التَّفَكُّرُ فِي مَخْلوقاتِ اللهِ تَعَالَى بِالقَلْبِ، فَهَذا مِنْ أعْظَمِ الذُّكْرِ، قال اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لآياتٍ لِأُولِي الأَبْصَارِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا ما خَلَقْتَ هَذا بَطِلاً سُبْحانَكَ فَقِنَّا عَذابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: 190-191].

6- عَمَلُ الطَّاعاتِ المَخْتَلِفةِ، مِنَ الصَّلَاةِ، وَالصَّيامِ، وَبِرِّ الوالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحامِ، وَتَعَلُّمِ العِلْمِ وَتَعَلِيمِهِ، وَغَيرَ ذلكِ كُلِّهِ مِنَ الذُّكْرِ؛ لِأَنَّ المَقْصودَ بِالأَعْمالِ الصَّالِحَةِ الذُّكْرُ، قال اللهُ تَعَالَى فِي شَأْنِ الصَّلَاةِ: ﴿ وَاقِمْ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: 14].

225 (رَواهُ التِّرْمِذِيُّ، كِتابُ فَضائلِ القرآنِ، باب: ما جاءَ فِيهِمَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنَ القرآنِ (5/161)، ح (2910) وَقال: " حَسَنٌ صَحيحٌ غَرِيبٌ " .

أوقات الذكر

- 1- ذِكْرٌ مُطْلَقٌ لَيْسَ لَهُ وَقْتُ مُحَدَّدٍ أَوْ مَكَانٌ مُحَدَّدٌ، وَهَذَا فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَمْكَانَةِ، مَا عَدَا مَا يَمْتَنِعُ فِيهِ الذِّكْرُ كَدَوْرَاتِ الْمِيَاهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.
- 2- ذِكْرٌ مُقَيَّدٌ بِوَقْتٍ أَوْ حَالٍ أَوْ مَكَانٍ، مِثْلُ أَذْكَارِ الصُّبْحِ وَالْمَسَاءِ، وَوَقْتُهَا مِنْ بَعْدِ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَمِنْ بَعْدِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَكَذَا الْأَذْكَارُ عِنْدَ النَّوْمِ، وَعِنْدَ الْاسْتِيقَاضِ مِنْهُ، وَعِنْدَ دُخُولِ الْمَنْزِلِ، وَالْمَسْجِدِ، وَالخُرُوجِ مِنْهُمَا، وَفِي حَالِ الْمَرَضِ، وَالْأَكْدَارِ، وَالْهَمُومِ، وَالْمَصَائِبِ، وَكَذَا عِنْدَ السَّفَرِ، وَنَزُولِ الْمَطْرِ، وَغَيْرِهَا كَثِيرٌ مِمَّا هُوَ مُقَيَّدٌ بِوَقْتٍ أَوْ حَالٍ أَوْ مَكَانٍ.

أمثلة للأذكار:

- 1- مِنَ الذِّكْرِ الْمَطْلُوقِ: جَاءَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنِ سَمْرَةَ بْنِ جَنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ)) (226).
 - 2- وَمِنْ أَذْكَارِ الصُّبْحِ وَالْمَسَاءِ، مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ((مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ)) (227).
 - 3- مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَ الْكَرْبِ: مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ)) (228).
- هذه مجرد أمثلة، وإلا فعلى المسلم أن يحاول حفظ هذه الأذكار وغيرها، وأن يلازمها في أوقاتها وأحوالها؛ ليغنم أجر الذكر وفضيلته ويكون من الذاكرين الله تعالى، وقد اهتم العلماء بجمعها وتيسيرها قديماً وحديثاً، فمن الكتب المتقدمة في ذلك: عمل اليوم والليلة للنسائي، ومثله لابن السني، ومن أجمعها وأخصرها:

226 (رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْآدَابِ، بَابُ: كِرَاهِيَةِ التَّسْمِيَةِ بِالْأَسْمَاءِ الْقَبِيحَةِ (3/1685)، رَقْمُ الْحَدِيثِ (2137)، وَعَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (566/11).

227 (رَوَاهُ مُسْلِمٌ، كِتَابُ الذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ، بَابُ: فَضْلِ التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ وَالِدُّعَاءِ (4/2071)، رَقْمُ الْحَدِيثِ (2692).

228 (أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ فِي كِتَابِ الذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ، بَابُ: دُعَاءِ الْكَرْبِ (4/2092).

كتاب الأذكار، للإمام النووي، والكلم الطيب، للإمام ابن تيمية، والوايل الصيب، للإمام ابن القيم، رحمهم الله تعالى.

الأسئلة:

- س1: ما المراد بالذكر شرعاً؟
- س2: (لا غنى للإنسان عن ذكر الله) وضح معنى هذه الجملة، مُبيِّناً السبب في ذلك.
- س3: اذكر ثلاثة أنواعٍ من الذكر، مع الأدلة.
- س4: اذكر بعضاً من ثمار الذكر في الدنيا والآخرة.
- س5: مثل لبعض الأذكار المطلقة.

الدُّعَاءُ

مَعْنَى الدُّعَاءِ

لِغَةِ: النَّدَاءُ وَالطَّلَبُ، تَقُولُ: دَعَوْتُ فُلَانًا، بِمَعْنَى: طَلَبْتُهُ وَنَادَيْتُهُ (229).

فِي الشَّرْعِ: الاسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَمُنَادَاتِهِ لِحُلْبِ النَّفْعِ وَالْخَيْرِ، وَدَفْعِ الْأَذَى وَالشَّرِّ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى مَعَانٍ عِدَّةٍ، مِنْهَا:

الْعِبَادَةُ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60].

- الاسْتِعَانَةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 23].
أَيِ اسْتَعِينُوا بِشُهَدَائِكُمْ.

أَهْمِيَّتُهُ:

إِنَّ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ أَنْ هَيَّأَ لَهُمُ الْأَسْبَابَ الْمَوْصِلَةَ إِلَيْهِ؛ إِذْ إِنَّهُ لَا غِنَى لِلْعِبَادِ عَنْ خَالِقِهِمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَمَنْ أَهَمَّ مَا يُقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى دُعَاؤُهُ وَرَجَاؤُهُ وَالاسْتِعَانَةُ بِهِ، فَبِهِ يَعْْبُدُ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ، وَيَتَحَقَّقُ مَطْلُوبُهُ، وَيَنَالُ مُبْتَغَاهُ، وَيَحْصِلُ عَلَى رِضَى رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا.

فَضْلُهُ وَفَوَائِدُهُ

لِلدُّعَاءِ فَضْلٌ عَظِيمٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ، وَثَمَارٌ يَنْبَغُ، وَفَوَائِدٌ جَلِيلَةٌ، مِنْهَا:

(أ) أَنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ يُؤَجَّرُ صَاحِبُهَا بِتَقَرُّبِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السَّجْدَةُ: 16-17].

(ب) فِي الدُّعَاءِ إِجَابَةٌ لِطَلْبِ الدَّاعِي، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الْآيَةُ [غافر: 60]..

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186].

(229) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص 169)، ومختار الصحاح (ص 206).

(ج) في الدعاء خُضوعٌ لِلْخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا، وإشعارٌ بِالذَّلَّةِ لَهُ، يقول تعالى: ﴿ اَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [الأعراف: 55-56].

(د) في الدعاء دَفْعُ الشُّرُورِ وَالْآثَامِ عَنِ الدَّاعِي، سواء كانت في الدُّنْيَا أَوْ الْآخِرَةِ.

يَطْمَحُ الْمُؤْمِنُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ تَعَالَى دُعَاءَهُ، وَيُلِيَّ مَقْصُودَهُ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْإِجَابَةُ لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا بِشُرُوطٍ هِيَ:

شُرُوطُ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ:

1- الإِخْلَاصُ: وَهُوَ أَهَمُّ شُرُوطِ قَبُولِ الْأَعْمَالِ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [غافر: 65].

وَالْإِخْلَاصُ: تَجْرِيدُ الْعِبَادِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ جَمِيعِ الْمُتَعَلِّقَاتِ، فَلَا يَقْصِدُ بِعِبَادَتِهِ وَدُعَائِهِ إِلَّا اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَمَنْ خَالَفَ ذَلِكَ فَقَدْ أَشْرَكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون: 117].

2- أَنْ يَكُونَ مَالُ الدَّاعِي حَلَالًا: لِأَنَّ الْمَالَ الْحَرَامَ مَانِعٌ مِنْ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ.

رَوَى مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون: 51]، وَقَالَ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [البقرة: 172].

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغَدِيٌّ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابَ لَهُ ((. (230)

3- تَرْكُ الْإِعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ:

وَالْمَقْصُودُ بِهِ أَنْ لَا يَتَجَاوَزَ فِي الدُّعَاءِ إِلَى غَيْرِ الْمَشْرُوعِ، كَأَنْ يَدْعُو بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، أَوْ يَدْعُو بِالْهَلَاكِ وَالذَّمَارِ عَلَى فَرْدٍ أَوْ أَفْرَادٍ؛ لِخَطَا يُسِيرُ عَلَيْهِ مَثَلًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ اَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: 55].

(230) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة (703/2).

من آداب الدعاء:

- 1- أن يدعو بتضرع وخشوع وحضور قلب كما في الآية السابقة.
 - 2- أن يجزم بالدعاء ويلح فيه، ويوقن بالإجابة ولا يستبطنها.
- عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن: اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له)) (231).
- 3- أن يختار الداعي الزمان الفاضل، والمكان الفاضل، مثل: يوم عرفة من السنة، وشهر رمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، وليلة القدر من رمضان، وآخر الليل من كل ليلة، والسجود من أفعال الصلاة، وبين الأذان والإقامة، ومثل حال السفر، والصيام، والاضطرار، والحج، وبالأخص عند الطواف والسعي، وبعد رمي الجمار، وغيرها.
- وكل هذه الأحوال والأزمنة وزدت فيها نصوص خاصة.
- 4- يستحب أن يكون على طهارة، مستقبل القبلة، رافعاً يديه، مفتتحاً دعاءه ومختتماً له بالحمد لله والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم.

موانع الإجابة:

- عرفنا فيما سبق شروط إجابة الدعاء، وضدها موانع الإجابة، مثل: الشرك بالله، وعدم الإخلاص فيه، والتعامل بالحرام كالغش والربا، وأكل أموال الناس بالباطل، والرثوة، وكذا الاعتداء بالدعاء، أو الدعاء بالأدعية المحرمة، أو الأدعية البدعية كالتوسل بالأموات وأصحاب الأضرحة.
- فإذا ما حصل شيء من هذه الأمور كان مانعاً لإجابة الدعاء.
- فعلى المسلم أن يحرص على أن لا يفتفر شيئاً من هذه الموانع؛ لأجل أن يقبل دعاؤه.

أمثلة للدعاء:

- 1- الدعاء للنفس بخيري الدنيا والآخرة.
- 2- الدعاء لولي الأمر بالتوفيق والسداد والخير والصلاح.
- 3- الدعاء للأبناء بالصلاح والاستقامة.
- 4- الدعاء للمريض بالشفاء والأجر والثوبة.

231) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب: ليُعزم المسألة فإنه لا مُكْرَه له (144/11)، ومسلم في صحيحه كتاب

الدُّعَاءِ والدَّعَاءِ، باب: العزم في الدعاء ولا يقول إن شئت، رقم (2678).

5- الدُّعَاءُ لِمَنْ قَدَّمَ لَكَ خَيْرًا.

6- الدُّعَاءُ لِلْمُسْلِمِينَ بِعَامَّةٍ بِمَا يَنْفَعُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

الْأَسْئَلَةُ:

س1: اذْكَرْ مَعْنَى الدُّعَاءِ شَرْعًا.

س2: الدُّعَاءُ عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى، اذْكَرِ الدَّلِيلَ عَلَى ذَلِكَ.

س3: مِنْ شُرُوطِ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ: تَرْكُ الْإِعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ، وَضَحُّ ذَلِكَ.

س4: لَا غِنَى لِكُلِّ إِنْسَانٍ عَنِ الدُّعَاءِ، مَا السَّبَبُ فِي ذَلِكَ؟

س5: اذْكَرْ ثَلَاثًا مِنْ مَوَانِعِ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ.

الاستقامة

تعريفها ومنزلتها:

معنى الاستقامة : هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القيم، من غير ميل عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها، الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها، الظاهرة والباطنة (232). وهي وسط بين الغلو والتقصير، وكلاهما منهي عنه شرعاً.

الاستمرار عليها، والتقصير فيها:

المؤمن مطالب بالاستقامة الدائمة، ولذلك يسألها ربه في كل ركعة من صلاته: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: 6].

ولما كان من طبيعة الإنسان أنه قد يقصر في فعل الأمور، أو اجتناب المحذور، وهذا خروج عن الاستقامة، أرشده الشرع إلى ما يعيده لطريق الاستقامة، فقال تعالى مشيراً إلى ذلك: ﴿ فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُوهُ ﴾ [فصلت: 6]، فأشار إلى أنه لا بد من تقصير في الاستقامة المأمور بها، وأن ذلك التقصير يجبر بالاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع إلى الاستقامة.

وقال صلى الله عليه وسلم: ((اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها)) (233).

مقامات الدين التي يطالب بها العبد:

قال صلى الله عليه وسلم: ((سدّدوا وقاربوا)) (234)، فالسداد: الوصول إلى حقيقة الاستقامة، أو هو الإصابتة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد.

وقوله: ((قاربوا)) أي: اجتهدوا في الوصول إلى السداد، فإن اجتهدتم ولم تُصيبوا فلا يفوتكم القرب منه. فهما مرتبتان يطالب العبد بهما: السداد، وهي الاستقامة، فإن لم يقدر عليها فالمقاربة، وما سواهما تُفريط وإضاعة، والمؤمن ينبغي عليه أن لا يفارق هاتين المرتبتين، وليجتهد في الوصول إلى أعلاهما، كالذي يرمى عرضاً يجتهد في إصابته، أو القرب منه حتى يصيبه (235).

232 (جامع العلوم والحكم، شرح الحديث الحادي والعشرين.

233 (رواه أحمد (5/153، و158)، والترمذي، كتاب البرّ والصلة، باب: ما جاء في معاشرّة الناس (4/312)، رقم (1987)، وقال: "حسن صحيح"، والحاكم (1/54)، وقال: صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي، وانظر: جامع العلوم والحكم، حديث رقم (18).

234 (رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب: الفصد (11/249)، رقم (6463)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، رقم (2861).

أَهْمِيَّتُهَا:

مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَهْمِيَّتِهَا أُمُورٌ، مِنْهَا:

1- أنها في حَقِيقَتِهَا تحقيقٌ لِلْعَبُودِيَّةِ التي هي الغايةُ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وبها يحصلُ لِلْمَرْءِ الْفَوْزُ وَالْفَلَاحُ.

2- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَحْقِيقِهَا، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ كَانَ مَعَهُ، فَقَالَ:

﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [الآية: هود: 112].

وقال: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ^ط وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [الآية: الشورى: 15].

وغير ذلك.

بل قد أمر الله تعالى بها أيضاً أنبياءه، فقال، في حقِّ مُوسَى وأخيه هارون عليهما السلام: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾ [الآية: يونس: 89]. ومِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَهْمِيَّتِهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جاءه سفيان بن عبد الله الثَّقَفِيُّ رضي الله عنه يقول له: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، فقال له النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ، فَاسْتَقِمَّ)) (236).

من أسباب الاستقامة ووسائل الثبات عليها:

1- من أهم أسباب الاستقامة: إرادة الله لهذا العبد الهداية، وشرح صدره للإسلام، وتوفيقه للطاعة والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: 15-16].

2- الإخلاص لله تعالى، ومُتَابَعَةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمُورًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: 5].

3- الاستغفار والتَّوْبَةُ:

235 (انظر: جامع العلوم والحكم، حديث (21)، ومدارج السالكين لابن القيم، منزل الاستقامة، وشرح النووي على مسلم (الحديث السابق.)

236 (رواد مسلم، كتاب الإيمان، باب: جامع أوصاف الإسلام (65/1)، رقم (38)، وهذا لفظه في النسخة المطبوعة، وإن كان اللفظ المشهور: (ثم استقيم)، وعليه شرح النووي وغيره، والله أعلم.

وقد علّق الله تعالى الفلاح والنجاح بالتوبة، فقال تعالى: ﴿ وَتُؤْتُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الآية [النور: 31].

4- مُحَاسِبَةُ النَّفْسِ:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الآية [الحشر: 18].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادّخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم (237).

فالمحاسبة تحفظ المسلم من الميل عن طريق الاستقامة.

5- المحافظة على الصلوات الخمس مع الجماعة:

لأنها صلة بين العبد وربّه، وهي من عوامل ترك الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [العنكبوت: 45].

6- طلب العلم: والمقصود به علم الكتاب والسنة؛ لأنه الوسيلة لمعرفة الله تعالى وكتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم.

7- اختيار الصُحبة الصالحة: لأنّ الجليس الصالح يُعين صاحبه على الطاعة وعلى طلب العلم، ويُنبهه

على أخطائه، أمّا الجليس السيء فعلى العكس من ذلك تماماً، قال تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزُحُف: 67].

8- حفظ الجوارح عن المحرمات: وأهمها: اللسان، فيحفظه عن الكذب والغيبة والنميمة وغيرها،

ويحفظ بصره عن المحرمات، وليكن نُصَبَ عَيْنَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ

السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: 36].

وقوله عليه الصلاة والسلام: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُتَّقِ اللَّهَ تَقَاتُلًا أَوْ لِيَصُمْتُ)) (238).

9- معرفة خطوات الشيطان للحذر منها:

237 (انظر تفسير ابن كثير (342/4).

238 (متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الزقاق، باب: حفظ اللسان (308/11)، ح (6475)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب:

الحث على إكرام الجار (68/1)، ح (47، و48).

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: 21].

من ثمرات الاستقامة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا
وَأَنْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ مَحْنُ أَوْلِيَائِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى
أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ عَفْوِرٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: 30-32].

من هذه الآية وغيرها نستنتج بعضاً من ثمرات الاستقامة:

- 1- طمأنينة القلب بدوام الصلّة بالله عزّ وجلّ.
- 2- أن الاستقامة تعصم صاحبها بإذن الله عزّ وجلّ من الوقوع في المعاصي والزّلل وسفاسف الأمور والتكاسل عن الطاعات.
- 3- تنزل الملائكة عليهم عند الموت، وقيل: عند خروجهم من قبورهم، قائلين: (أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا) على ما قدمتم عليه من أمور الآخرة، ولا ما تركتم من أمور الدنيا من مالٍ وولدٍ وأهلٍ.
- 4- حُبّ الناس واحترامهم وتقديرهم للمسلم، سواء كان صغيراً أو كبيراً على ما يظهر عليه من حرص على الطاعة، والخلق الفاضل.
- 5- وعد الله المتقين أن لهم في الجنة ما تشتهيه أنفسهم، وتلدّ أعينهم، وتطلبه ألسنتهم، إحساناً من الله تعالى.

الأسئلة:

- س1: ما السداد؟ وما المقارنة؟
- س2: تحدّث عن أهميّة الاستقامة في حياة المسلم.
- س3: عدد أربعاً من ثمرات الاستقامة.
- س4: (يَكْفِي المرء المسلم أن يقف عند مرتبة المقارنة) ما رأيك بهذه العبارة؟ مع التعليل.

المقدمة: **Error! Bookmark not defined.**

أولاً: الحديث الشريف 5

الحديث الأول 6

الحديث الثاني: 11

الحديث الثالث: 14

الحديث الرابع: 17

ثانياً الثقافة الإسلامية 21

صُورٌ مِنْ حِرْصِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الدَّعْوَةِ 22

حَقُّ اللهِ تَعَالَى وَحَقُّ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ 26

القرآن الكريم خصائصه وحقوقه 33

صُورٌ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ 39

الحِرْصُ عَلَى الْوَقْتِ وَحُسْنُ الْإِسْتِفَادَةِ مِنْهُ 42

الصُّدُق 46

الطَّاعَةُ 50

الحُبُّ فِي اللهِ 55

العِلْم 59

66 الحديث الخامس
69 الحديث السادس
72 الحديث السابع
75 الحديث الثامن
78 الحديث التاسع
83 التَّفَقُّةُ الإِسْلَامِيَّةُ.
84 التَّدخِين.
89 الحَرَكَةُ الصُّهُوبِيَّةُ
95 الجود والإيثار
99 حَقُّ الوَالِدِينَ والأَقْرَابِ
105 السَّمَاع
110 الذِّكْر
115 الدُّعَاء
119 الاستِقَامَةُ